15 em Année No. 755

Lundi — 22 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بدار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٦٧ — ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عالم مشتبـــك

للأستاذ عباس محمود العقاد

تستعد الولايات المتحدة لمعركة الانتخاب التي تسفر عن انتخاب رئيس الجمهورية .

مسألة داخلية بين الأحزاب السياسية في الولايات المتحدة ، ولوجرت الأمور في حدود ظواهرها لما كان في هذه المسألة مايهم به العالم إلا من قبيل الاستطلاع أو التشاغل في أوقات الفراغ بأخبار البلاد الخارجية .

وهكذا كان شأن هذه المسألة في أوائل القرن العشرين ، أو قبيل الحرب العالمية الماضية .

ولكنها في هذه المرة تختلف كل الاختلاف من شتى الوجوه . فقد اتفق أن الولايات المتحدة جمعت فيها عشرات الألوف من الصهيونيين الذين يشتركون في إعطاء الأصوات للرئيس .

واتفق أن هؤلاء الصهيونيين يحتكرون هناك شركات الاعلان ، وأن الصحف هناك لا تعيش بغير أجور الاعلانات ، لأنها تصدر في عشرات الصفحات ، وقد تصدر أحياناً في مئات الصفحات التي تزدان بالصور والرسوم في أيام المواسم والأعياد . فعليها من التكاليف أضعاف ما تدره على أصحابها من الأرباح ، ولكنها تنهض بتكاليفها وتضمن أرباحها كلما ازداد نصيبها من الاعلانات المأجورة ، أو كلما ازدادت حاجتها إلى شركات الصهيونيين .

اتفق هذا وذاك واتفق معهما أن الانجليز ضاقوا ذرعاً بفتنة الارهابيين في فلسطين ، وأنهم قصدوا أو أذاعوا أنهم يقصدون التنحي عن وصايتهم على الأرض المقدسة .

فسنحت الفرصة للصهيونيين في الولايات المتحدة ، ونقلوا معركة فلسطين إلى ميدان الانتخاب في الولايات المتحدة ، فظفروا بما أرادوه هناك ، وخيل إليهم أنهم قد ظفروا بما أرادوه في أرض الميعاد ، ولك أن تقول إن الولايات المتحدة هي التي ظفرت بتسخيرهم عن رضى منهم ، على رجاء النجاح في السيطرة على منافذ الشرق القريب .

كذلك وصل إلى الشرق أثر النزاع بين الأحزاب السياسية في دولة دستورية .

وقبل بضع عشرة سنة سقطت جميع الأحزاب السياسية في دولة أوربية ، وقامت الدكتاتورية في تلك الدولة ، وهي ألمانيا النازية .

فصبت نقمتها على اليهود لأنها اتهمتهم بالتواطؤ على هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الماضية .

وراحت إيطاليا الفاشية تحذو حذوها في بلادها ، وتشبهت بهما دول أخرى في أوربة الوسطى ، وتدفق اليهود من كل قطر من تلك الأقطار إلى أرض الميعاد ، أو أرض الوعيد !

كانت قضية الهجرة إلى فلسطين قضية معلقة ، أو مشكلة راكدة لا تفلح المساعي الصهيونية في تحريكها .

فلما انتشر الحكم الدكتاتوري في أوربة تحركت المشكلة بعد ركود ، وطغى على فلسطين مد البحر بعد جزره ، وتكسرت

أمامه السدود أو فتحت له أبوابها وهى طائعة ، لأن أبوابها كانت بأيدى الإنجليز ، وكان الإنجليز فى حاجة إلى جماعة صهيون ، فقابلوهم على أبواب السدود بالإغضاء ، وزادوا على الاغضاء أحياناً فقابلوهم بالتشجيع والترحيب .

ثم دالت دولة النازيين والفاشيين .

وكان خليقاً بالمد أن ينحسر بعد أمان اليهود من بطش الصليب المعقوف ، وبأس « الحزمة » المضمومة .

ولكن اليهود لا يعملون فى غير أسواق .

وليس فى بلاد المهزومين أسواق تصلح للمساومة والاستغلال .

ولو راجت الأسواق فى أوربة لكسدت الصهيونية فى فلسطين ، ولارتد عنها كل صهيونى غيور ولو قيدوه فى مكانه بالسلاسل والأغلال .

كساد أوربة لم يكن نكبة على أهلها وكفى .

ولكنه كان نكبة على أرض عربية لا ذنب لها فى ذلك الكساد ، وكان نكبة على الشرق القريب كله من وراء تلك الأرض العربية ، ويوشك أن يكون فى الغد — أبعده الله — نكبة على العالم بشرقه وغربه ، ومن أدناه إلى أقصاه .

عالم مشتبك الأطراف .

عالم له جهاز عصبى واحد ، وقد كان منذ عهد قريب خمسين أو ستين بنية حية : كل بنية منها لها جهاز لا يضطرب فى مكانه إلا لما يعتريه .

هذه هى العبرة الكبرى من قضية فلسطين ، ومن كل قضية تشبهها فى هذا الزمان .

فأياً كان نظام الحكم فى قارة دانية أو قارة قاصية ، وأياً كان حال الرواج والكساد فى هذا القطر أو فى ذاك ، فالجهاز العصبى واحد ، والطعنة هنا يدمى لها الجسم هناك ، وقد يكون الطاعن فى المغرب هو الطعين فى المشرق إذا دارت الدورة فى مجراها ، وذهبت الأحداث مع جرائرها ، وعمت الطامة الكبرى وهى لا تخص أحداً فى هذا العالم المتشابك الأطراف .

ولقد كان عالم كهذا فى أشد الحاجة إلى السياسة العالمية العادلة ، لأن الظلم فيه حيث كان بلاء مطبق على كل وطن ، وكل إنسان .

لكنه وجد السياسة العالمية ، ولم يجد العدل فيها .

وجدها ناقصة مختلة ، وجدها منحرفة متعسفة ، وجدها خيبة أمل وقد أرادها مناط رجاء ومعقد يقين .

وهنا الحيرة كل الحيرة فى وزن هذا الرجاء .

فأما النكول عن « السياسة العالمية » فليس فى مقدور أحد يعيش اليوم فى هذا العالم ، وبربط الحس والحركة بأعصاب ذلك الجهاز المتشعب الدقيق .

وأما الرضا بهذه السياسة العالمية فليس فى مقدور المصاب بها ولا فى طاقة الخاسرين فيها ، ونحن الشرقيين من أولئك الخاسرين .

لكننا نضع السؤال الذى تنقطع به الحيرة حين نقول : هذه هيئات عالية تتعسف الطريق ، فما الحكم عليها جملة واحدة ؟ هل عدمها خير من وجودها أو وجودها خير من عدمها ؟

وهنا تنقطع الحيرة عند كل موازنة بين النتيجتين المتقابلتين .

فوجود هذه الهيئات العالمية خير من عدمها على كل حال ، لأن أميركا التى تعمل بالأساطيل والجيوش والأموال ، شر من أميركا التى تعمل بالمناورات واصطياد الأصوات ، والتزام الظاهر فى جميع هذه المناورات .

أو قل إن المجتمع الذى تقضى محاكمه أحياناً على البرىء ، وتفرج عن المعتدى ، خير من المجتمع الذى لا محكمة فيه .

وأجدر الأوقات أن نذكر فيه هذه الحقيقة هو الوقت الذى تملكنا فيه حمية الغضب فنسخط على الدنيا وما فيها ، وننسى الشر البعيد بما اشتمل علينا من شر قريب .

إن القوى فى المجتمع يستطيع أن يغلب الضعيف عنوة ويستطيع أن يغلبه بما يملكه من وسائل التأجير والتسخير .

يستطيع أن يضع يده على حقه علانية ، ويستطيع أن يضع حقه عليه ببذل المال للمحامى القدير ، وبذل الرشوة للقاضى المريب ، ودفع الحارس عن درك الحراسة ، وسوق الشهود إلى ساحة القضاء .

لكننا مع هذا كله لا نقول إن السطو علانية كالسطو بالحيلة والمحاولة ، ولا نستطيع أن نقول إن عدم المحاكم ووجودها سواء ، فضلا عن ذهابنا مع الغضب قائلين : إن عدمها خير من وجودها فى كل حال

وتلك هى العبرة التى ينبغى أن نذكرها غاضبين ، لأننا لن ننساها ونحن راضون .

فلنكن عند غيرتنا القوية على حقوقنا ، ولنكن كذلك عند فهمنا الصحيح لما حولنا ، وكل ما حولنا يقول لنا إننا فى عالم متشابك الأطراف ، متعاقد الأعصاب ، لا انفراد فيه ولا انعزال .

ولنقل فى الجماعات العالمية ما نشاء ، إلا أن عدمها ووجودها سواء .

عباس محمود العقاد

التلمود خدع اليهود

للأستاذ نقولا الحداد

التلمود الذي فسر فيه اليهود التوراة على هواهم خدع اليهود لأنه زرع في عقولهم أن إلهم الذي سموه «يهوه رب الجنود» هو أقوى من سائر الآلهة وأنه اختصهم بعطفه دون سائر الأمم وأقنعهم بأنهم شعبه الخاص، وما لبث أن أفهمهم أن يهوه هو الله رب السموات والأرض . ولكن الله تعالى لا يقيم وزناً لهذه الوظيفة التي وظفه اليهود فيها . بل هو جل جلاله يعتبر جميع بني آدم على الإطلاق عباده ويرعاهم بعين عنايته على السواء .

ولكن ماذا تفعل بعقلية هؤلاء اليهود الذين يريدون أن يحتكروا الله — أستغفر الله — كما يحتكرون كثيراً من خيرات الأرض ونتاج الأمم !

وكان في قديم الزمان لعهد موسى عليه السلام آلهة أخرى للأمم الأخرى التي كانت أمة إسرائيل الهاربة من مصر تغزوها وتغتصب أملاكها وبيوتها ومواشيها وسائر أشيائها

وكان عندهم أن يهوه أقوى من جميع الآلهة التي يعبدها الكنعانيون والحثيون والجرزيون والفلسطينيون والصيدونيون إلى غير هذه القبائل التي كانت تقطن البلاد المسماة حديثاً فلسطين معتمدين على قوة يهوه رب الجنود كما كانوا يلقبونه باعتبار أنهم شعبه الخاص . فمنذ جاء الإسرائيليون إلى أرض كنعان كانت عقيدتهم أن جميع الأمم الأخرى ليست من عباد الله بل هي والسوائم سواء . ولهذا كان يهوه يبيح لهم أن يغزو تلك الأمم ويسلبوها أشياءها .

ولذلك كانوا طوال وجودهم في أرض كنعان التي كانوا يسمونها أرض الميعاد بدعوى أن الله وعدهم بها كانوا في حروب متوالية مع الأمم إلى أن غزاهم بختنصر ثلاث مرات وفي الثالثة سباهم إلى بابل مملكته . وبعد سبي سبعين سنة أطلق سراحهم كورش ملك فارس الذي فتح بابل ، فعادوا إلى بلادهم . وما مكثوا طويلا حتى جعلت تتنازعهم دول الشرق والغرب والشمال والجنوب . فما مكثوا في بعض البقعة المسماة الآن فلسطين أكثر من ٣٢٠ سنة . ومع ذلك بقوا من ذلك العهد إلى اليوم يعتقدون أنهم شعب الله الخاص وأن إلههم يهوه أحل لهم سلب الأمم الأخرى بأية الوسائل حتى بالحرب من غير مبرر، وأنه ينصرهم على أعدائهم . ولكن التاريخ أثبت لهم أن يهوههم لم يكن قوياً كما كانوا يدعون أنه ينصرهم لأنهم كانوا دائماً يغلبون على أمرهم ؛ وأخيراً تشتتوا في بلاد الله.

ولكنهم لا يزالون يتمسكون بعقيدة أنهم شعب الله الخاص وأنه أحل لهم (معاذ الله) أن يسلبوا أموال الأمم بأية الوسائل الشريفة وغير الشريفة ؛ حتى إذا لم يستطيعوا أن يبتزوها بحرب ابتزوها بالحيل والأحابيل الاقتصادية واللاحقية . وعلى هذه العقيدة بنوا دستورهم الاجتماعي وعلى حسب هذه العقيدة سلكوا.

واستفحلت العقيدة في قلوبهم حتى قام شيوخ منهم ووضعوا لهم دستوراً غريباً عجيباً يسمى بروتوكولا وهو يتيح لهم أن يبذلوا كل جهد في إفساد الأمم الأخرى وقتل الفضيلة فيها تمهيداً لاستغلالها ، وعليهم أن يبذلوا حتى الشرف لهذه الغاية . وحاصل القول أن عليهم أن يبذلوا كل عزيز وغال من أخلاقهم في سبيل جمع المال ، وأن يتوسلوا بأية الوسائل للقبض على زمام السلطة تذرعاً إلى المال . والمال هو قوتهم الوحيدة . وفيما سواه هم نماج .

فإذا اقتضت الوسيلة أن يكون الواحد منهم مسلماً فليكن إلى حين ، كما فعل بعضهم في سلانيك . وإذا اقتضى الواحد منهم أن يكون اشتراكياً فليكن . مع أن الاشتراكية تناقض مبادئهم لأنهم رأسماليون . وإذا اقتضى الأمر أن يكون شيوعياً فلا بأس أن يكون . كل الدروب تؤدي إلى هيكل المال .

فكانت نتيجة هذا السلوك أمرين خطيرين :

أولا أنهم امتلكوا القسم العظيم من ثروات العالم لا بالطرق القانونية الشريفة ، وإنما بالاحتيال على النظام والقانون واختراع وسائل الابتزاز المختلفة كالنصيب وتقسيط أثمان السندات ذات النصيب والمقامرة والمراهنة والتأمين إلى غير ذلك من اختراعاتهم التي يحسبها لهم بعض المغفلين ذكاء

وعلى الرغم من تكلفهم السلوك المستقيم في المعاملات التجارية

وغيرها تنفضح فيهم روح الجشع والطمع والقسوة والعنف فى المعاملات إلى أن صارت هـذه الروح غريزة فيهم ولم يعودوا يشعرون فى أنفسهم أن أخلاقهم غير إنسانية بل يستغربون أن ينسب إليهم فقد الإنسانية ، وهم يظنون فى أنفسهم أنهم إنسانيون كسائر الناس ، ولسوء حظهم لا يراهم الناس هكذا .

هذه التربية التى صبغهم بها التلمود والبروتوكول أفضت إلى الخطر الثانى ، وهو أن حقد عليهم الناس من كل قبيل وطائفة وجنسية . وهم يستغربون هذا الحقد من الناس أينما كانوا وأينما حلوا يتساءلون : لماذا يحقد عليهم الناس هكذا فى كل مصر وعصر ؟ لماذا اضطهدهم الروس فى القرون الماضية ؟ لماذا قسا عليهم هتلر فطردهم من ألمانيا وصادر أملاكهم ؟ يستغربون هذا لأنهم يظنون أنهم بشر وأن أخلاقهم أخلاق بشر وقلوبهم قلوب بشر . ولسوء حظهم أنهم ليسوا كذلك لأن فى عقولهم عقيدة أنهم شعب الله الخاص وحيوات الأمم الأخرى حلال لهم . أليس التلمود قد خدعهم وضللهم فأضرهم ؟

وأخيراً كانوا يضطهدون فى أوروبا وكانوا يستغيثون بأهل الرحمة من نصارى أوربا وأميركا ، لأنهم يعلمون أن هؤلاء الأقوام قد تربوا تربية إنسانية بمقتضى تعاليم مسيحهم فيمكنهم أن يستغلوا فيهم هذه الإنسانية المسيحية فجعلوا يستنزفون أموالهم باسم إسعاف المنكوبين اليهود فى أوربا فجمع لهم المسيحيون فى أميركا ١٧٠ مليون دولار . وسئل مرجنتو العضو فى جمعية جمع الإعانات أين تذهب هذه الدولارات ؟ فقال ٤٠ بالمائة منها تذهب إلى فلسطين . فغضب رئيس الجمعية وقال أنا مستعف من الرئاسة لأنى كنت أظن أن هذه الأموال تذهب إلى المشردين من اليهود فى أوربا لا إلى فلسطين حيث يقيم الصهيونيون دولة على البارود .

ولولا وعد بلفور لعطف عليهم المسلمون أيضاً لأن تعاليم نبيهم لا تختلف عن تعاليم المسيح الإنسانية من حيث العطف والرفق والرحمة ؛ ولطالما عطف المسلمون عليهم فى التاريخ الماضى . ألم يعطف المسلمون عليهم بعد كارثة الأندلس فآووهم فى كبريات عواصمهم[1]

ومن أعاجيب فلسفة اليهود أنهم يعللون بغض الناس لهم بأنهم أذكياء فيحسدهم الناس على ذكائهم . وكانوا يذيعون هذه الفكرة حتى اليوم إلى أن تلوثت بها عقول بعض الناس من غير جنسهم وصاروا يقولون أن هؤلاء اليهود جمعوا الثروات بذكائهم وأنهم يستحقون هذا التفوق وهذا الفوز فى عالم المال جزاء للذكاء . وبعضهم يقول لك إنهم يستحقون فلسطين لأنهم عمروها إلى غير ذلك من السفسطات السخيفة .

ليس اليهود أذكى من سائر الأمم ، بل يمكنك أن تقول إنهم دون الوسط فى الذكاء . وإنما الفرق بينهم وبين الأمم الأخرى أن ذكاء هذه الأمم مقرون بالأخلاق الإنسانية من محبة وصدق ووداد وإخلاص وعطف ورحمة . وأما ذكاء اليهود فمقرون بقلوب صُم لا تفهم الانسانية ولا الرحمة . فأولئك يستحرمون المحرم وهؤلاء يحللون المحرم ؛ هؤلاء يثرون كثيراً وأولئك يثرون أقل

فهم متى راموا التبجح بالذكاء ذكروا لك اينشطين وبرجسون وغيرهما ، وأغضوا الطرف عن جايمس جينز وأدينغتون وأناطول فرنس وغيرهم . وإذا ذكروا رتشلد ذكرنا لهم ركفلر وكارنجى وفورد . ولكن ماذا فعل آل رتشلد من المبرات التى عملها هؤلاء ؟ ما سمعنا بمؤسسة خيرية للانسانية أسسها يهود ...

ولما استفحل الجشع اليهودى فى أوربا وجعلت أوربا تنبذهم نبذ النواة ولوا وجوههم شطر الشرق وادعوا أن لهم ميراثاً فى فلسطين فلماذا لا يطالبون به ؟ والحقيقة أنهم لا يأتون إلى الشرق لكى يرثوا ميراثاً بل لكى يسهل عليهم الاستيطان فى بلاد أهلها مهملون فيمكنهم أن يثروا فيها بأسهل من أوربا .

فقصدوا إلى الشرق العربى لأنهم استضعفوا أهله ، ولكنهم منذ هذا الأسبوع انقلبت عقيدتهم فى العرب ورأوا أنهم قد ضلوا السبيل ، وأن هذا الصيد دونه أسد الثرى ، وسيعودون من حيث أتوا ، وسيعود ترومان حاميهم إلى الصومعة لأن الشعب الأميركى شرع منذ الآن لا يصدق دعاية الجرائد اليهودية . واليوم قرأنا أن الكونجرس الأميركى سيحقق فى مسألة ضغط ترومان على أعضاء هيئة الأمم .

نقولا الحداد

(١) وفى هذه الحرب الفلسطينية عثر العرب على رجل مقعد مفلوج تركه اليهود فى المنزل بلا رأفة ولا رحمة حين هجروا المنزل الى تل أبيب . فحمله العرب إلى أحد منازلهم وعالوه الى أن عثروا على وسيلة لارساله الى قومه مع بعض الانكليز . هذه المأثرة مقابل إحراق اليهود طفلة عربية فى السنتين من عمرها .

الذكرى الأولى :

شكيب الشاعر

للشيخ محمد رجب البيومي

— ٢ —

« لو لم يكن شكيب كاتباً فريداً لكان شاعراً مجيداً ؛
فهما كفتان كلما رجحت الواحدة أشالت الأخرى »

المنفلوطي

كان الجو الأدبي في مبدأ هذا القرن بمصر يبشر بمستقبل بسام تزدهر فيه فنون الأدب ، فهناك مدرستان قويتان للنثر والنظم يتزعم الأولى محمد عبده ويقود الثانية سامي البارودي ، وفي تلامذة المدرستين أشبال فتية تقوى وتشتد بمرور الزمن ، وقد اتخذت من الصحافة ميداناً فسيحاً تتراكض في جهاته ، فتركت وراءها دوياً رناناً جعل الأنظار تتطلع إلى سماء الصحافة المصرية معجبة بأهلتها الجديدة ، تلك التي أخذت تتكامل وتتزايد حتى أمست بدوراً ساطعة تبعث في العقول ضوءها اللماح ، وتنشر في النفوس إشراقها اللامع ، وانظر إلى آثار شوقي والمنفلوطي وحافظ والويلحي وسائر من تخرج في المدرستين السالفتين ، فإنك واجد ما حدثتك عنه من تألق وسطوع .

ونحن لا نعجب — والحالة كما وصفنا — إذا رأينا الأمير رحمه الله يؤثر الصحافة المصرية بنثره ونظمه ، ويزور وادي النيل بين الفينة والأخرى ، متصلا بأدبائه الذين يغردون معه على دوحة واحدة ، ومن هنا كان أمير البيان ذا صلة قوية بحملة الأقلام في مصر ، يؤثرهم على نفسه ، ويؤثرونه على أنفسهم ، وطالما اشتبك في حوار أدبي عفيف مع عشاق الأدب والمعرفة ، فكان ذا الحجة الدامغة ، والرأي الفاصل .

ونبادر فنعلن أن شكيباً كان يهتم بالنثر أكثر من اهتمامه بالشعر ، لأنه فوق مكانته الأدبية سياسي مجاهد ، له رأي ينفح عنه ، وعقيدة يبثها في أمته ، والسياسيون في حاجة إلى امتشاق القلم كل يوم ، ليعلم الرأي العام ما يدعون إليه ، فلو أنه اتكل على الشعر وحده ، لاستعصى عليه في بعض الأحايين أن يبرز رأيه في وضوح ، فكان لا بد من الاعتصام بالنثر ، حتى يفهم عنه الجمهور ما يريد .

وأنت حين تطالع أشعاره عامة ترى عليها مسحة التسرع والعجلة ، لأنه يترجم عن عواطفه بدون تكلف ، وله من جهاده ما يشغله عن التفكير في معنى غريب أو تشبيه نادر ، كما يصنع عبيد الشعر في كل زمان ومكان ، على أنه مع ذلك مطبوع على التصوير الفني ، والديباجة المشرقة ، واللفظ الموسيقي .

وإذا أردت أن تنظر لشكيب كشاعر متأنق ، فاقرأ مساجلاته مع الشعراء ومعارضاته لأقرانه الأفذاذ ، فهو حينئذ يحرص على أن يكون معهم في درجة واحدة — على رغم فراغهم واشتغاله — فتراه يغوص على المعاني الفائقة ، ويتفنن في التراكيب الممتازة ، ويطير مع الخيال في آفاقه الشاسعة ، وإليك قصيدته :

هل لسان أقواله الإلهام ... وبيان آياته الأحكام ؟

فإنه عارض بها قصيدة شوقي :

رضى المسلمون والإسلام ... فرع عثمان دُمْ فداك الدوام

فكان شكيب رائعاً مبدعاً ، يسوق معانيه في تسلسل وانسجام ، حتى استطاع أن يوازي أمير الشعراء في دقته وبراعته ، ومن العجيب أنه يتواضع أكثر من اللائق فيقول في قصيدته :

أو أعارض فتى القريض فما عا ... رضَ ورد الحدائق القُلام

وأحب أن ألفت القراء إلى قصيدة أخرى من هذا النوع ، أنشدها الأمير في حفلة خيرية أقيمت بمصر لمعاونة مجاهدي طرابلس الغرب ، وكان من شعرائها شوقي ومطران وشكيب ، وقد قرأت قصيدة الأمير فوجدته أكثر إبداعاً من غيره ، فقد كان نسجه عباسياً ، وخياله عربياً يحلق بك في أجواء حوم فيها أبو تمام والمتنبي ، ويريك كيف تكون براعة المطلع وقوة الأداء فهو يقول :

سلا هل لديهم من حديث لقادم ... من الغرب يروى فيه غلة هائم
وهل نظروا من نحو (برقة) موهنا ... فلاح لهم منها بريق الصوارم
تألقَ في ليــلٍ ظلام وقسطل
فتنشى سحب الدمع من طرف شائم
مواطن إخوان نملوا من الردى ... كؤوساً تساقوها بملء الحلاقم

تهيبهم فيها العدو مهاجماً   فجاء دبيب اللص فى ليل قاتم
ولين فى إقدامه من إهابه   وهل يخدع الإنسان ابن الأراقم

ثم يمضى بعد ذلك فيصف أرانب (رومة) متهكماً . ويمدح ضراغم هاشم معجباً وهو فى نظمه يجلجل جلجلة عربية ، ويأتى بالحكمة فذة رائعة كأن يقول :

وما طال نوم السيف إلا انتبهت   عيون الدواهى منه عن جفن نائم

وللقارىء أن يحكم بهذه القصيدة على شاعرية الأمير الناضجة وقريحته المتوقدة ، ولعله يتساءل معى أى مستقبل كان ينتظر الأمير فى عالم الشعر لو صرف كل همه إليه كما فعل شوقى وحافظ وأى منزلة يحتلها بين شعراء العربية الخالدين .

وتعجبنى علاقة شكيب بزملائه الشعراء فقد كانت ترضى أصحاب المثل العليا فى الأخلاق ، فهو لا يعجب بقصيدة يطالعها فى الصحف إلا ويسارع إلى تقريظها بما تستحق من ثناء ، ونحن نتلمس الآن هذه الروح الطيبة ، فلا نجدها فى معشر من الناس بل نجد ما يناقضها من الغل والحسد ، ولكن شكيباً أفلاطونى يقود الناس إلى مدينته الفاضلة فليتهم اتبعوه ! !

ولقد كان يتحمل كثيراً من المصاعب فى نصرة زملائه الأدباء من كتاب وشعراء فقد وقف أمام اليازجى وهو من هو فى زمنه سعة شهرة ، وصلابة رأى ، ليذب عن شوقى ، ويدفع الحملة التى شنها صاحب الضياء عليه ، وكلها هنات لغوية ، ومآخذ صرفية سطعت عليها شمس شكيب فبددت ضبابها الكثيف وكان هذا الدفاع المجيد وشيجة قوية ربطت أمير الشعراء بأمير البيان فأصبح صفيه الأول ، وخدينه المختار ، وماذا تقول فى مودة عريقة مكثت أربعين سنة وهى فى كل يوم تنمو وتترعرع حتى خطف الموت شوقياً ، فكتب عنه شكيب سفراً قيما ورثاه بقصيدة جمعت إلى صدق اللوعة وحرارة العاطفة براعة الوصف ودقة التعبير ، فهو يبرز لك شعر شوقى فى صورة لا تنطبق على غيره ، ويرسم أمامك رسماً تتجلى فيه ملامحه وخصائصه فهو يقول

رقت لنغمته القلوب فكيفما   غنى بها رقصت على نبراته
فترى الطبيعة قبل نظرته لها   غير الطبيعة وهى فى مرآته
والحسن يشرق فى العيون بذاته   وهنا يضىء بذاته وصفاته
لو بات يبعث بالشراب أضاف من   كاساته حببا إلى كاساته
أو خاض فى ذكر المذيب تشابهت   أعطاف مستمعيه مع باناته
يلقى على غمرات كل ملمة   قولا يزيل أجاجها بفراته
فإذا تحدث بالربيع ووشيه   أنساك بالتحبير وشى نباته

فأى وصف هنا لا ينطبق على شعر شوقى ، وأى تصور لا يوقفك على خصائص أبياته ؟ الحق أن هذا كلام ينبىء عن مكانة قائله الممتازة فى عالم الفن ، ويدل على الحد الذى وصل إليه رحمه الله فى الجودة والبراعة ، مما يجعلك تصدق قول شاعر القطرين فى رثائه

ولى أخو الأفذاذ من شعرائها   فى جاهليتها وفى الإسلام
جارى الفحول فلم يقصر عنهمو   فى حلبة الإفصاح والإفهام
شتان بين الشاعر المطبوع فى   إحكامه واللاقط النظام

***

ولقد نظم الأمير فى أكثر فنون الشعر من غزل ومديح وسياسة واجتماعيات ، بيد أنه كان سباقاً فى الرثاء والوصف ، وإبداعه فى الرثاء ليس بمستغرب منه فقد كان ذا وفاء نادر لأصحابه وإخوانه فإذا فجعه الدهر فى واحد منهم لجأ إلى القريض يبثه عاطفته ، ويشكو إليه تباريحه . والواقع أن دموعه الشعرية قد بينت لنا كيف يحافظ الصديق المثالى على مودة صديقه ، إذ بقى له أصدق وفاء فى القرب والنزوح ورثاء الأمير لصديقه أمين فكرى يؤكد ما نقوله فهو يقول :

حملت له بين الضلوع أمانة   لو احتملتها الشم ذابت تصدعا
وأصفيته منى إخاء لو أنه   أعار الليالى صفوها رقن مشرعا
وما زلت أرعاه على البعد صاحباً   وقبلى لنجم الأفق من قد تطلعا
فإن يك هذا الأفق غرب بدره   فلا زهرت فيه الكواكب مطلعا
فكم من يد أضحت تدق بأختها   وكم شفة باتت تجاور إصبعا
أخلفت ثغراً بعد ثغرك باسماً   وطرفا تمنى أن ينام فيهجعا
أناديك لا راجى الجواب فقد مضى
ويا لهف نفسى أن أقول فتسمعا
فلو صادحات الأيك يدرين من ثوى
لما بتن إلا فى رثائك سجعا

وهو فى مراثيه لا يكتفى بسرد عواطفه بل يتعرض إلى مناقب الفقيد فيجلوها خلابة جذابة فى مرآة شعره ، لا كن يحشد فى مراثيه ما شاء من الأخيلة والتصاوير دون أن تتصل

اتصالاً وثيقاً بسمات الفقيد. واقرأ معي رثاءه في عبد العزيز شاويش فستجد المعنى الطابق والوصف الموافق إذ تراه يقول :

وإذا جررت على الطروس يراعة ... بات الصرير براحتيك صليلا
تلك اليراعة ود أكبر قائد ... لو أنها في كفه ليصولا
تتجاوب الآفاق عن أصدائها ... ويرتلون فصولها ترتيلا
لا فرق بين السامعين وقد وعوا ... ما قلته والشاربين شمولا
تغدو أرق من النسيم فإن عدا ... خطب غدوت الصارم المصقولا
ليث متى يزأر لأمة أحمد ... (ورد الفرات زئيره والنيلا)

أما شعره الوصفي فقد بلغ فيه ذروة الإبداع ولا سيما حين يتحدث عن المعارك الدامية بين المسلمين والغاصبين، وقد يكون من المناسب اليوم أن ينظر القارئ إلى قصيدة الأمير في آثار (حطين) فلن يجد فيها بيتاً عادياً مع أنها قد تجاوزت المائة والخمسين، وقد استهلها الشاعر بوصف نهر الأردن، مصوراً تعاريجه وتدفقه متفنناً فيما يسميه البديعيون بحسن التعليل، ثم خلص إلى بحيرة طبرية فقال فيها ما لم يخطر للمتنبي — وقد وصفها قبل ذلك — على بال.

وانتقل إلى المعركة الحامية في حطين بين المسلمين والصليبيين، فتدفق حماسة وخاض حيوية، وقال في حرارة واندفاع :

كأنما قومنا وقد وثبوا ... شم حصون لها القنا جدر
كأنما قومنا وقد وثبوا ... زعازع للحصون تهتصر
ذاق العدا من سلاف طعنهمو ... كأساً بغير العنقود تختمر
ضراغم أجفلوا وقد نظروا ... حمر المنايا — كأنهم حمر
لم يجبنوا ساعة وإن خذلوا ... وإنما الليث دونه النمر
يوم تلاقى الجمعان وانتصف الـ ... ميزان رهن انحرافه الظفر
عوقب بالأسر موقن بردى ... وجل ملكاً مع العمى العور

وفي هذه الطويلة وصف رائع لبطولة صلاح الدين، ولا عجب فقد كان الأمير كلفاً بشجاعته ومروءته، وله فيه قصيدة أخرى لا يقولها غير متيم بمآثره، معجب ببطولته، ومن في الدنيا لا يخفض رأسه إجلالاً لصلاح الدين ؟ !

هذا ويجدر بنا أن نشير إلى قصيدته في آثار الأندلس فقد كانت دمعة حارة سكبها شكيب على الفردوس المفقود، وليت شعري ما يقول العربي الأبي في إرثه الضائع ؟ ومجده السليب !

وهل تكون قوافيه غير جمرات مشتعلة تتقد في النفوس، وزفرات ملتهبة تتصاعد من الصدور ؟ على أن أمير البيان قد ملك زمام شاعريته فجاء بالمعنى الرائع والوصف المحكم حين قال في وصف جامع قرطبة وأعمدته القائمة.

تراها صفوفاً قائمات كأنها ... حدائق نصت من جماد مشجر
من العمد الأسنى فكل يتيمة ... لها نسب من مقطع متخير
نبت دونها زرق الفؤوس وأصبحت ... لدى الفرى تهزا بالحديد المصفر
ولكن لفضل الفن ألقت قيادها ... فصال بها الصناع صولة عنتر
فبينا هي الصم الصلاد إذا انثنت ... مقاطع جبن أو قوالب سكر
عرائس للتحريم فوق رؤوسها ... أكاليل در في قلائد جوهر

ثم يمضي الشاعر إلى نهاية قصيدته رافلاً في هذا الوشي البديع ولست محتاجاً — بعد ما قدمته من النماذج المختارة من شعر الأمير — إلى أن أنص على أنه كان حريصاً على مقاومة التيار الجديد الذي يبيح للشاعر ما يند عنه الذوق العربي من تهرب من الوزن، وتنصل من القافية، بل إنه ظل طيلة حياته يذب عن القديم بما يملك من بيان، وله في ذلك أبحاث عديدة يمكنك أن تفهم خلاصتها من قوله التهكمي « ونحن نقول للذين يتكلمون في القديم والجديد، ويزعمون أن لكل عصر مدرسة على قولهم في الشعر، إن هذه المدرسة تكون في العلم وتكون في الصناعة وتكون في الزراعة، وتكون في كل شيء إلا في الشعر ؛ فإن مدرسته هي القلب وطريقته هي النفس، والنفس البشرية لم تتغير ولن تتغير، فهي هي في أذواقها ومشاربها، وما سمعنا أن الإنجليز زهدوا في شكسبير لكونه عاش قبل هذه الأيام بثلاثمائة سنة، ولا أن الألمان عابوا جوته لمجيئه قبل اليوم بمائة وخمسين سنة، فكيف نعيب المتقدمين ! ؟) وفي اعتقادي أن كلام الأمير جدير بالتأمل والانتباه، حتى يظهر الصبح لذي عينين.

أي نجم هوى بفقدك يا أمير البيان ! وأي أمل تحطم حين ودعتك العروبة باكية إلى مقرك الأخير ! وأي أرج عاطر يفوح من ضريحك الحبيب .؟!

سلام على القبر الذي ضم أعظماً ... تطوف المعالي حولها فتسلم

محمد رجب البيومي
كلية اللغة العربية

٣ — طرائف من العصر المملوكي :

ابن الوردي والخمـــول

للأستاذ محمود رزق سليم

ما هي العوامل التي دفعت ابن الوردي دفعاً إلى أحضان الخمول فارتضاه لنفسه مذهباً ومعتنقاً يجد فيه لذاذة وسعادة ؟ . .

إن من كان في مثل فضله وعلمه ، من حقه على الدنيا أن تنبه شأنه ، وتسعى إليه ، وترفه عنه ، وتنوه به ، وتيسر له . فهل أبلغت الدنيا ابن الوردي آماله ، وأفسحت له سبيل المال والجاه ؟ كلا .. لقد روى أنه دخل الشام مرة ، وفقره باد في رثاثة هيئته ورداءة منظره ، فحضر مجلس القاضي نجم الدين بن صصرى من جلة شهوده . فاستخفوا به وأجلسوه منهم مجلساً بعيداً ؛ ثم أرادوا كتابة مبايعة ملك . فقال بعض الحاضرين مشيراً إلى ابن الوردي « أعطوا المعرى يكتب المبايعة » ، على سبيل الاستهزاء به . فقال ابن الوردي : « أكتبه لكم نظماً أم نثراً » فزاد استهزاؤهم وقالوا « بل نظماً » فأملى لساعته نظماً لطيفاً ذكر فيه اسم البائع والمشترى وحدود المبيع والشهود والتاريخ وما إلى ذلك . فأقبل القوم عليه معتذرين ، وقد عرفوا مكانته .

فنكران المنزلة وضيق الرزق وقلة الجاه في مقدمة أسباب خموله .

وقد كان ابن الوردي — فضلا عن علمه وأدبه — ذا نفس أبية ترباً به عن مواطن الذل ، وتنأى به عن مهاوى الخضوع ولو حرم في سبيل ذلك ما يشتاق إليه من المجد : يقول :

وما جهلت نفسي المعالي وطيبها ... ولكن رأت أن السلامة أطيب
أصون الذي علمته عن مذلة ... فللعز في الدارين قد كنت أتعب
ورحت خفيف الظل عن حمل منة ... لمفتضح بالمكر وهو محجب

ويقول :

ولو شئت فقت الكل حرصاً وجراءة ... وأرضى بجمعي وارثي وأعصب
أأكثر أموالا وأحمل ثقلها ... وأتركها للوارثين وأذهب

على الله رزق الوارثين وغيرهم ... فبعداً لشخص من سوى الله يطلب

وقد كان ابن الوردي — إلى جانب ذلك كله — ذا أسرة ضخمة ، فقد ترك له أبوه جملة من الأشقاء ، ورزقه الله عدة من البنات . وهذه حالة تتطلب السعي الدائم ، والكد والمجالدة ، وبذل الحيلة . ولكن إباء نفسه لم يدع له وسيلة إلى الخضوع في سبيل الحصول على الرزق . فهو لا يحيى رأساً لرئيس ، ولا يقارف عملا يتنافى مع كرامته ، ولا يبذل ماء وجهه لقاء عرض الدنيا . يقول :

وا كتساب الغنى بنظم ونثر ... فيه نقص للفاضل المشهور
أنا لفظي در النحور ومثلي ... لم يبع بالحطام در النحور
إن فقر النفوس ذل وشين ... وغنى النفس عز كل فقير

ولا يسعى إلى منصب القضاء برشوة — وقد كانت ذائعة في عصره — بل عف عن المنصب جملة لما رأى فيه رقا لنفس الحر . فيقول بعد أن طلق القضاء :

أأرجع بعد العتق في الرق ثانياً ... فلا أم لي إن كان ذاك ولا أب

ولقد كان ابن الوردي — كما ذكرنا — قاضياً على حلب نائباً في قضائها عن قاضي القضاة الكمال بن الزملكاني وكان ابن الوردي قد مدحه بقصيدة طلية لأنه استنقذ كنيسة من اليهود بحلب وجعلها مدرسة للحديث . فقال له :

علاك ذكر ليس يشبهه ذكر ... وأحرزت فخراً ليس يدركه فخر

ثم أرسل إليه ابن الزملكاني رسولا يطالبه بنقله إلى منبج . فلم يسترح إلى النقل ، وألح في العودة إلى حلب ، فلم يستمع له ابن الزملكاني . فانقلب ابن الوردي هاجياً شاكياً ، وكانت هذه الحادثة السبب الباشر في أنه كره المناصب وحياة الوظيفة ، ولجأ إلى الخمول يستعيض بالاطمئنان إليه ما فقده من جاه ورزق . قال مخاطباً ابن الزملكاني :

فعنـــدما قال الذي قاله ... رسولكم أوضح ما أعضلا
وبان لي ما يقصد الدهر لي ... لكن رأيت الصبر بي أجملا
وانقطع البحث وزال المرا ... فقدموا الناقص والأجهلا
تالله لا باشرت من بعدها ... حكما ومن يرضى بهذا البلا

فضل ابن الوردي من ذلك الحين حياة الخمول على حياة

الكفاح . وارتضى عيش العزلة على المخالطة · ونشد السلو بين كتبه ودفاتره ، والعزاء بين أقلامه ومحابره ، وراح يرفل في ثوب من الخمول ، كأنه يرفل في ثوب من النعيم . وأمعن في خموله واستمرأه حتى أصبح حبيباً إليه أثيراً عنده . راضياً بيأسه . قال :

قالوا تركت الحكم قلت تركته ... واعتضت عن خضر القضا باليأس
قتل الأنام على الحطام نفوسهم ... فصفعت دنياهم بألف مداس

وقد استقر في نفسه أن الخمول هو نصيبه الحق من الحياة . لأنه قل أن يجتمع الحظ الحسن مع الذكاء . ويندر أن يلتئم الجاه الواسع مع البروز في العلم والأدب . فذكاء المرء محسوب عليه . وخير لطالب الجاه أن يدع سبيل العلم والأدب ويخليها لغيره . قال :

لا تحرصن على فضل ولا أدب ... فقد يضر الفتى علم وتحقيق
ولا تمد من المقال بينهم ... فإن كل قليل العقل مرزوق
والحظ أنفع من خط تزوقه ... فما يفيد قليل الحظ تزويق
والعلم يحسب من رزق الفتى وله ... بكل متسع في الفضل تضييق
أهل الفضائل والآداب قد كسدوا ... والجاهلون فقد قامت لهم سوق
والناس أعداء من سارت فضائله ... وإن تعمق قالوا عنه زنديق

وقد بدا لنا من هذه الأبيات عقيدته في الحظ ، وقد رددها في أبيات متعددة فقال منها :

لي نفس تقية لم يعبها ... غير حظي وذا بغير اختياري
جامع الحظ والذكاء قليل ... يصعب الجمع بين ماء ونار

غير أن هذه العقيدة لا يصاحبها الرضا بل السخط ، ولا يخالطها الاطمئنان بل المرارة والحسرة . ألا تراه يقول :

إن لمت حظي فلا تلمني ... فإن لومي له بحق
للضد رزق بلا حساب ... ولي حساب بغير رزق

ويقول :

شتان يا ابن فلان ... تعاستي وسعودك
أنا يدود قزي ... وأنت قز دودك

وما دام أمر الحظ كذلك فلا داعي للسعي وليعش المرء ناعماً في خموله ، لا عمل ولا نصب ، ولا كد ولا أدب ، ولا سيما بعد أن كافح ونافح ، ودرب وجرب ، فلم يظفر من وراء ذلك بشيء : قال :

ما طلبنا الخمول جهلا ولكن ... ذاك عن خبرة وعن تجريب
لو أمنا الزحام فيه لكنا ... نشتهيه لصاحب وحبيب . . .

ويبالغ ابن الوردي فيأسف على ما فات من الزمن في غير الخمول ، كأنما فاته شيء من العز والمجادة فيقول :

أسفي ! كيف كنت أطلب عزاً ... بالولايات وهي عين الهوان
كنت لا أعرف الخمول لجهلي ... ليتني كنت خاملا من زمان

وقد أطلق له خموله حرية القول وفتح أمامه فجاج الحديث . ففخر بنفسه ليدل الناس على مفاخره ، ونقد مجتمعه ليبين لأفراده ضروب الفساد فيهم ، وجأر بالشكوى مما أصابه لعله يجد فيهم سميعاً . وما كان خموله إلا شكوى صامتة واحتجاجاً سلبياً على حرمانه . فقنع ولكنها القناعة المرة . وقال :

أهملني قوم وكم فاضل ... يود أن ينظرني في المنام

ثم يقول :

قنعت والقنع يعز الفتى ... لما رأيت الحرص ذل الكرام

على أننا نعود إلى تساؤلنا ونقول : هل كان ابن الوردي خاملا ؟ وهل نال من وراء خموله ما يشتهي من الخمول الحق ؟ كلا . . . فإن بعد عن الناس ببدنه فقد قرب إليهم بفكره ، وإن اعتزلهم بجسده فقد عاشرهم بشعره . ونال من وراء انجماعه عنهم ما يكون كامناً في نفسه من أمل الشهرة والذيوع . وإن حرم الرزق والجاه . وقد مات ابن الوردي ولا يزال شعره يردد ، وذكره يجدد ، وعاش ومات في النابهين الخالدين . وكان من الشعراء القلائل الذين تركوا للناس مبادىء ومذاهب عاشوا بها ودعوا إليها .

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

(هامش) توفي ابن الوردي في عام ٧٤٩ هـ .

الأديب والإصلاح الاجتماعي

للأستاذ أحمد محمد المظمة

لا مشاحة أن للأديب تأثيراً قوياً في النفوس والأفكار والعواطف والأخيلة، وأن له أثراً جلياً في حياة الأفراد والجماعات، وأن النهضة الأدبية كثيراً ما تمهد للنهضة السياسية والاجتماعية والدينية، وفي تاريخ الثورة الإسلامية والثورة الفرنسية مثلا مصداق ما نقول. ولا بدع فالأديب إذا بكا قلبه مثلا بكا يراعه، وإذا ثارت نفسه ثار أسلوبه، فكأنما هو يكتب بمداد من الدماء يكفي أن يبصره الناس حتى يهيج دماءهم ويخف بها إلى ما يريد منها، وكأنما هو يخطب بأصوات من روحه لا من لسانه حسب الناس أن يسمعوها حتى تتصل بأرواحهم فتعمل فيها عمل العاصفة حيناً ثم تقذف بها حيث تريد (كجلمود صخر حطه السيل من عل). وهذا من أسرار تلك الكهربية الأدبية التي تعمل عملها في جوها الروحاني فلا يبلغ مبلغها إلاهيه. فليس الأديب إذن أديب الألفاظ الأصيلة ولا الأفكار الوزينة ولكن أديب الفن، والفن رعشة روحانية تصطفي ما تشاء ثم توحي به نغما أو رسما أو كلا تفكيراً أو عاطفة أو خيالا.

إذا كان للأديب هذا الأثر فتعالوا نتساءل عن مبلغ اهتمام معظم أدبائنا بنا وتأثيرهم الاجتماعي التقدمي فينا.

في ظني أن الجواب يحمل دون ما ينتظر من أكثرهم، فقد جروا مع الزمان كما أراد كأنهم ليس لهم في الإصلاح من مراد، إنهم يهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بأوطانهم فلم يكونوا فاعلين بالهام الواجب، بل كانوا ظاهريين انفعاليين بعامل البيئة، ينظرون إلى ألوان الأشياء والحوادث وأشكالها ولا يتأملون في حقائقها ومآلها، كأنهم يهدفون إلى الجمال الظاهري الآني وحده ويجرون في ذلك وراء غيرهم جنوداً ولا يجرون في الطليعة قواداً، رأوا الناس استساغوا منهلا فنهلوا منه وعلوا، فبضاعتهم من الرأي تقليدية مخادعة لا ذاتية تأملية، وقد تكون هذه البضاعة من البهرج الدخيل في الأمة لا الجوهر الأصيل فيها، وقد يكمن فيها استعمار فكري أو انهيار خلقي أو إنذار سياسي، وقد تمقها الواقعة فلا تجد الأمة لوقعتها دافعة.

غفل الناس عن ذلك كله فغفل الأدباء مثلهم أو تغافلوا فلم يكرثهم أمرهم ليروه حقيقاً بالاعتداد به والاحتفال له، وقد يكون من أسباب ذلك ظنهم أن الأدب ألهية الحياة فلم يجعلوه جهيراً للخير ونوفاً لليقظة وقد يتذممون منه إن رأوه كذلك في عيش يبتغونه رقيق الحواشي لا يعرف إلا هزلا.

وقد يلتمس بعضهم المذر لبعض وهو يراه على خطأ في الرأي وصدق في العاطفة الجامحة بأنه أديب والأديب مرآة يتراءى فيها كل ما يتجلى لها فليس في تبديل ما يعرض له يدان، وما ذلك بعذر لو كانوا ينصفون: فالأديب مرآة ولكنها عاقلة، يصحب تشهيها وتلهيها إيمانها وتفكيرها وثقافتها وإرادتها وغايتها، فليست مكرهة على أن تسف وتسخف، بل ينبغي أن تصطفي مما يعرض لها، وأن توجه الحوادث توجيهاً وتؤلف منها مظهراً جميلا لقصد رفيع تريده، كما يؤلف الكيمائي من مختلف العناصر جسما لم يكن وهو يريده، وبذلك يثبت الأديب انفعاله بتأثير بيئته وعوامله الذاتية إثباتاً دفاعياً لا انخذالياً، كما ترى ذلك مثلا في العبرات للمنفلوطي ووحي القلم للرافعي.

أنا لست غافلا عما يؤلف في الإصلاح الاجتماعي، ولكني لست أعني الآن العلماء الباحثين والكتاب الصحفيين، إنما أعني الأدباء أولى الرعشات الروحانية الذين مهدت بالحديث عنهم، فما أقلهم وإن كثرت الكتب والصحف، وما أقل منهم حملة المصابيح في دياجير الحياة الذين يصدر أدبهم حيوياً تغذوه عقيدة راسخة وثقافة جامعة ناضجة فلا يستعبدهم هواهم ولا يستبدبهم ولا يسخرهم تقليدهم ولا يسخر بهم. فأين أين ذاك الماء الزلال الذي يفيض عن معينه الثر الذي لا يتعكر، ويصدر معينه عن السماء تمده بطلها وإن كان هو في الأرض؟

إن الأدب العربي لا يتعذر الإصلاح عليه فهو يستطيع أن يحيط خبراً بما بين الناس وأن يجتذب ما يحتاجون إليه مما يقوم حياتهم ويدرأ عنهم ما يتهددهم من الآفات الاجتماعية التي انسلت إليهم من سواهم ثم تفشت فيهم وجملتهم يتداعكون وهم بين أعداء لها يحذرونها وأنصار يفخرون بها ويحضون عليها، حتى لكأن أبا المتاهية يصدق فينا قوله:

إنا لفي زمن ملآن من فتن   فلا يعاب به ملآن من فرق

يستبين من هذا كله أن على الأديب العربي اليوم أن يحمل حظه عظيما من بحوث الأخلاق والاجتماع وما إليها ، حتى لا يلتبس عليه الحق بالباطل والشراب الآجل بالسراب العاجل ، فيأخذ نفسه بما صح عنده من أحكام ، وما كرم من أخلاق وما سما من مقاصد ، ويدعو لذلك غير متريث ولا متهيب ، وقد يدعو هذا إلى شيء من المطاولة والتروي والمصاولة ، فلا ضير ، بل يجب أن يكون كذلك حتى يكون الأدب أو بعض الأدب عميقاً معه برهانه فلا يتهلهل عند النظر ولا يضمحل إزاء الحجة ، ولا يتمهل أمام الواجب .

إن المعركة الخلقية والاجتماعية اليوم من الخطورة بمكان ، فهي عند مفترق الطرق ، وهي معركة مبادئ تتصاول ليذهب زبدها جفاء ، ويمكث حقها في الأرض بعد ثبات أهله وصبرهم وجلادهم وحكمة قيادتهم .

إنها لمعركة مبـادئ تبقى بعد الأمة العربية عربية تهتز بتاريخها المجيد ، أو تغدو غربية تمتز بتاريخ من ليس لهم للحق تاريخ إلا من صفحات العدوان على حق خنقوه ودم سفكوه ومجتمع أضلوه . وإن وراء الحق عقيدة صادقة ، وخلقاً كريماً ، وعزة ، وضياء ، وإن وراء الباطل تحللا ، وسفهاً ، وذلة وعماء ، وما يبدى الباطل وما يعيد .

فمن غير الأديب العربي الحيّ الأنف يطارحنا بلحنه الأخاذ فيهز القلوب والمشاعر والأفكار ، بل يهز الأرواح هزاً منبهاً إلى السبيل السوى الذى يجد أهله بعده عزهم وهداهم ونماهم فلا يضلون فى مهامه المذاهب الاجتماعية الكثيرة التى لا يكاد يتبين فيها السارى وضح الطريق ، وإنما يخشى ما فيها من متفجرات تدك بنيان النهضة من القواعد دكا ، ولا تلبث ذويه حتى يعودوا إلى أنفسهم نادمين فينشئوا الحياة ويبنوا المجد كبناء الأبوة الأمجاد .

إن الأمر حقيقة وجد وما هو بخيال وهزل ، فما أحرى الغيُر على يوم الأمة وغيرها أن يفكروا فى هذا الضرب من الأدب والأدباء ، ولعل من الخير أن يدعوا إلى مؤتمر أدبى علمى عربى يجتمع مؤتمروه فى إحدى عواصمنا كل عام ، فتعرض فيه مشكلاتنا الأخلاقية وآفاتنا الاجتماعية ويوجه نحوها الضياء ، ويوصف لها الدواء ، فيقوى الرجاء بأن العرب يسـيرون قدماً إلى الأمام ودائماً إلى الأمام بعد أن صدروا عن عكاظهم الجديد عكاظ الخير والأدب والوطن العربى الكبير .

دمشق **أحمد مظهر العظمة**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٣٣ — أمثال . . .

مجمع الأمثال للميدانى :

لولا جلادى غُنم تلادى[١] .

لا بلاد لمن لا تلاد له[٢] .

الروم إذا لم تُغز غزت[٣] .

لا يفل الحديد إلا الحديد .

الشجاع موقّى[٤] .

٩٣٤ — أصيب زوجها وأخوها وأبوها

تاريخ الطبرى : مرّ رسول الله (صلوات الله عليه) بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بأحد ، فلما نعوا لها قالت : فما فعل رسول الله ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل[٥] .

٩٣٥ — الجنة تحت البارقة

الفائق للزمخشرى : عمار : (الجنة تحت البارقة) هى السيوف لبريقها وهذا كقولهم : الجنة تحت ظلال السيوف .

وفيه : قال أبو هريرة يوم اليرموك : تزينوا للحور العين وجوار ربكم فى جنات النعيم ، فما رُئى موطن أكثر قحفاً[١] ساقطاً وكفا طائحة من ذلك اليوم .

فى الفتوحات المكية : قال بعضهم فى حق المجاهدين :

أبواب عدن مفتحات والحور منهن مشرفات
فاستبقوا أيما استباق وبادروا أيها الغزاة
فبين أيديكم جنان فيها حسان منعمات
يقلن والخيل سابقات مهورنا الصبر والثبات

٩٣٦ — نحن والله أهل الحرب

طبقات ابن سعد : قال عبد الله بن عمرو : نحن (والله) أهل الحرب غذينابها ، ومرنا عليها ، وورثناها عن آبائنا كابراً فكابراً. نرى بالنبل حتى تفنى ، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر الرماح ؛ ثم نمشى بالسيوف فنضاربها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا .

٩٣٧ — . . . إلا بحيث ترى المنايا سودا

أبو تمام :

ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا[٢]

٩٣٨ — . . . فعليكم بالجهاد

كان خالد يقول : ما من ليلة يهدى إلى فيها عروس ، أنا لها محب وأبشر منها بغلام — أحب إلى من ليلة شديدة البرد ، كثيرة الجليد فى سرية أصبح فيها العدو ، فعليكم بالجهاد .

وفى كتاب فتوح الشام للازدى : ثم إن خالداً سار فى الصفوف يقف على أهل كل راية ويقول : يا أهل الإسلام ، إن الصبر عز ، وإن الفشل عجز ، وإن مع الصبر تنصرون ؛ فإن الصابرين هم الأعلون ، وإنه إلى الفشل ما يحور[٣] المبطل ، وإن الحق لا يفشل .

---

(١) الميدانى : لولا مدافعتى عن مالى سلب وأخذ

(٢) لا يقدر الفقير أن يقيم ببلاده وارضه لفقره بل يحتاج أن يرحل عنها (الميدانى) .

(٣) الميدانى : يعنى أن العدو إذا لم يقهر رام القهر ، وفى هذا حض على قهر العدو .

(٤) الميدانى : وذلك أنه قل من يرغب فى مبارزته خوفا على نفسه وهذا كما يقال : احرص على الموت توهب لك الحياة . قلت : ومن أقوالهم : كم منية علتها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت . ومن كلام على (رضى الله عنه) النجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم (تلوم فى الأمر) تمكث فيه وانتظر .

(٥) الأساس : وهذا شىء جلل أى هين ، قال : الا كل شىء سواه جلل .

---

(١) الزمخشرى : القحف هو العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة .

(٢) المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

(٣) الأساس : دعى إلى القتال ففشل أى جبن وذهبت قوته ، وعزم على كذا ثم فشل عنه أى نكل عنه ولم يمضه ، وفى التاج : الحور: الرجوع عن الشىء وإلى الشىء .

٩٣٩ — ... عن أحسابكم ذودوا

عمرو القنا :

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا
من غمرة الموت فى حوماتها : عودوا
عادوا ، فعادوا كراماً لا تنابلة
عند اللقاء ولا رعش رعاديد
لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم
محرض الموت عن أحسابكم : ذودوا

٩٤٠ — لكنهم الله يعرفهم

الخراج لأبى يوسف : حدثنى إسماعيل عن قيس عن مدرك ابن عوف الأحمسى . قال : بينا أنا عند عمر إذ أتاه رسول النعمان ابن مقرن فجعل عمر يسأله عن الناس ، فجعل الرجل يذكر من أصيب من الناس بنهاوند فيقول : فلان بن فلان وفلان بن فلان ، ثم قال الرسول : وآخرون لا نعرفهم ، فقال عمر : لكن الله يعرفهم .

وفيه : حدثنى مسعر عن سعد بن إبراهيم : مروا على رجل يوم القادسية وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يفحص ويقول : (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا) . فقال له رجل من أنت يا عبد الله ؟ فقال : رجل من الأنصار .

٩٤١ — كذبتم وبيت الله لا تأخذونها

عمرو بن براقة الهمدانى(١) :

كذبتم (وبيت الله) لا تأخذونها
مراغمة ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكى وصارما
وأنفا حمياً تجتنبك المظالم

٩٤٢ — لعل الله يرزقنى الشهادة

طبقات ابن سعد : عن عامر بن سعد عن أبيه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله يتوارى ، فقلت : مالك يا أخى ؟ قال أخاف أن يرانى رسول الله فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة . قال : فعرض على رسول الله ، فاستصغره ، فقال : ارجع ، فبكى عمير ، فأجازه رسول الله . قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ، فقتل ببدر .

٩٤٣ — أحق من لم يكره المنية

ابن جؤجؤة الأعرجى :

أحق من لم يكره المنية
حزوّر ليست له ذرية(١)

٩٤٤ — نساؤهم كرجالهم

طبقات ابن سعد : قال محمد بن عمر : شهدت أم عمارة ابن كعب أحداً مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها ، وخرجت معهم بشن لها فى أول النهار تريد أن تسقى الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسناً ، وجرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف .

***

قتلت أم حكيم يومئذ (يوم مرج الصفر) سبعة بعمود الفسطاط الذى بات فيه خالد بن سعيد العاص معرساً بها ، وكانت وقعة مرج الصفر فى المحرم سنة أربع عشرة فى خلافة عمر بن الخطاب .

٩٤٥ — ... فأنا أرابط حتى أموت

قال أبو فضالة الأنصارى : اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو ابن عبد شمس ليالى أغزانا أبو بكر الصديق فسمعت سهيلا يقول : سمعت رسول الله يقول : مقام أحدكم فى سبيل الله ساعة خير من عمله عمره فى أهله ، قال سهيل : فأنا أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة أبداً .

---

(١) ويلقب لمالك بن خرم

(١) التاج : يقال للغلام إذا راهق ولم يدرك بعد حزور ، وإذا أدرك وقوى واشتد فهو حزور أيضاً .

تعقيبات

الروح العربية:

لقد نديت عيني بالدمع، وأحسست بقلبي كأنه يريد أن يثب من بين جوانحي وثباً وأنا أستمع لزعماء العرب وقادتهم وهم يتحدثون في اجتماعهم الأول بوزارة الخارجية المصرية عن العمل لإنقاذ فلسطين وصيانة ذلك الوطن المقدس من طغيان الصهيونيين والاستعماريين ...

قال لي سماحة الحاج أمين الحسيني: لقد حان وقت العمل، ولا بد أن يلعب السيف دوره، وإذا تكلم السيف فاسكت أيها القلم ... وسننتصر ... ولا بد أن ننتصر ... وإن ينصركم الله فلا غالب لكم ...

وقال لي سعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا: حتى أنت تريد مني أن أتكلم! إننا في ميدان العمل، وإنها لكرامة العرب قاطبة، وإنه لكيان العروبة في سائر أقطارها وأنصارها، وإنه لتراث الآباء والأجداد نحمله أمانة بين أيدينا، وإن دماءنا لأقل ما يبذل في سبيل هذا كله ...

لم أكن أسمع كلاماً، ولكني كنت أرى نفوساً تتوثب بالإباء في قوة وعزيمة، وقلوباً تتدفق بالحياة في إصرار وحزم، وعواطف ثائرة متأججة كأنها زفير الجحيم على الظلم والطغيان، فأيقنت أن الروح العربية لا تزال بخير والحمد لله، وأن العرب لن يضاموا ما دامت فيهم هذه الروح التي ورثوها عن آبائهم الصيد، وأجدادهم الصناديد، وأن فلسطين لن تذل ما دامت تحميها هذه الروح وتصونها من تناوش الذئاب.

لن يسرق العرب تحت عين الشمس مرة أخرى، ولن تذهب فلسطين فريسة في سوق السماسرة والتجار، ولن تنحني هاماتنا بعد اليوم أمام التهديد الغاشم والوعيد الظالم، فقد تيقظ العرب، وإذا تيقظ العرب، فالويل ثم الويل للاستعمار وصنائع الاستعمار!

إنني وحدي أنفرد من بين أبناء العربية فأحمد لهيئة الأمم قرارها، وأزجي الشكر أضعافاً إلى الأمم التي أيدت قرار التقسيم، لأنها بهذا نادت على العرب أن يتيقظوا، وأثارت فيهم روحاً كان يهدئ من ثائرتها ما طبعوا عليه من كرم وإنسانية، وجعلتهم يواجهون الحقيقة حتى لا تعصف بهم الخديعة على غرة، والأمر كما قال شوقي شاعر العرب:

وكم في طريق الشر خير ونعمة ... وكم في طريق الطيبات شرور

النصر الأول:

إني أرى التاريخ يعيد نفسه اليوم!

فقد حدث من قبل أن طغى كسرى وبغى، وصرع النعمان ابن المنذر شر مصرع، ثم أرسل إلى هانئ بن قبيصة يطلب منه ما استودعه النعمان من الدروع والرماح، حتى ابنته أيضاً، فأبى هانئ عليه ذلك وفاء بحق العرب، فأسرها كسرى في نفسه، وحشد على العرب زحفاً من جيوشه يسد عين الشمس، وحسب أنه ساحقهم لا محالة، وعلم بذلك الشاعر الأيادي لقيط بن معمر الذي كان يتولى الكتابة في ديوان كسرى، ففزع لقومه، وأرسل إليهم بهذه الصيحة التاريخية يقول:

يا أيها الراكب المزجي مطيته ... إلى الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
أبلغ إياداً وخلل من سراتهم ... إني أرى الرأي — إن لم أعص — قد نصعا
إني أراكم وأرضاً تعجبون بها ... مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا
ألا تخافون قوماً لا أبالكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا
ياقوم إن لكم من إرث أولكم ... مجداً قد اشفقت أن يفنى وينقطعا
ياقوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً ... على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي يجتث أصلكم ... فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

ولقد استجاب العرب لهذه الصيحة، واندفعوا على صداها يذودون عن شرفهم وحرماتهم، ووقف هانئ بن مسعود على

جوع العرب يخطب خطبته المأثورة : يامعشر بكر! هالك معذور، خير من ناج فرور ، إن الجزع لا يرد القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد ، فما من الموت بد !

وهب العرب أنفسهم للموت فى سبيل الشرف والكرامة ، فكتب الله لهم النصر والحياة ، ومكن لهم من الفرس وقهر الطغيان ، وبلغ الأمر إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وكان قد بعث ، فقال : «اليوم أول يوم انتصف فيه العرب لأنفسهم من العجم ، وبى نصروا » !

وابتدأ التاريخ من يومذاك يكتب للعرب صفحات مشرقة حافلة بالنصر بعد النصر على العجم ، وما زالوا حتى أورثهم الله أرضهم وديارهم !

ذلك ما كان من تاريخ النصر الأول للعرب ، حفز إليه طغيان كسرى ، وإن العرب اليوم ليمشون إلى النصر الخالد يحفزهم إليه قرار تلك الهيئة فى جانب الظلم والبهتان ، ويعلم الله أننا ما كنا نبغى العدوان ، ولكن الأمر كما قال أبو الطيب شاعر العربية :

غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

نشيد العروبة :

والآن ، وأبناء العروبة يمشون إلى ميدان الجهاد ، ويتحفزون للتضحية والفداء ، والشباب الفتى فى القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد وعمان وفلسطين وسائر الأقطار العربية يستفزهم الغضب لكرامتهم والذود عن كيانهم ، ألا يجدر أن يكون لهم نشيد واحد يهتفون به لفلسطين ، ويكون حداؤهم المؤتلف فى مواكب الجهاد ضد الغاصبين ! ؟

أجل ، إنه لواجب أن ننحى أناشيدنا المحلية اليوم جانباً ، وأن يكون لنا اليوم « نشيد العروبة » يهتف به كل لسان ، ويفيض به كل وجدان ... فلعل شعراءنا ينسون أحاديث الغزل والهيام ، وينحدرون من أبراجهم العاجية إلى مواكب المجاهدين بأشعارهم وأناشيدهم !

إن الشاعر الذى سيكتب « نشيد العروبة » فى هذه الآونة الحاسمة ، سيكتب لا شك لنفسه الخلود .. فيا ترى من هو الشاعر الذى سيكون لذلك الموقف ، ولذلك اليوم ؟ !

الدكتور ... أحمد أمين :

حدثنى الثقة أن الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فى كلية الآداب قد اجتمعوا فيما بينهم وقر رأيهم على أن يتقدموا إلى مجلس الجامعة بمنح الأستاذ أحمد أمين بك درجة الدكتوراه الفخرية تقديراً لعلمه ولجهوده فى خدمة الحياة الثقافية والعلمية .

والأستاذ أحمد أمين بك رجل أخذ حظه ومكانته ، فلن ترفع من قيمته دكتوراه فخرية ، ولا يغض من مكانته عدم حمله لهذا اللقب الذى يحسبه بعض الناس كل شيء فى العلم والمكانة ، وكم بيننا من « دكاترة » ليس لهم من أثر ومن صلة بالعلم إلا حمل هذا اللقب الضخم ، ولكنى أكبر هذا الوفاء من رجال كلية الآداب وأحمد لهم هذا التقدير الذى هو تقدير للعلم فى ذاته ، وإكبار له فى شخص رجل بذل فى سبيل العلم نور البصر ، وضحى بحياة الرفاهية والتقلب فى أعطاف الراحة .

أجل ، لقد وقف الأستاذ أحمد أمين حياته على خدمة العلم ، وقدم للمكتبة العربية تراثاً ضخماً من البحث والدرس يستحق به كل تقدير ، وسيمتد هذا التقدير فى نفوس الأجيال المتعاقبة ، ما دامت الثقافة العربية زاهرة مشرقة . أقول هذا ولعل القراء يذكرون أنى هجمت على هذا الأستاذ الفاضل منذ قريب فى الرسالة لرأى أبداه ولست فيه شيئاً من الإسراف ، وحسب أستاذنا صاحب « الرسالة » أنى أجحد فضل هذا الرجل ... كلا ! ولكنى أفصل دائماً بين الرأى وصاحبه ، وإن خطأ من الأخطاء لا يحملنى على أن أجحد ما هناك من حسنات ، خاصة وليس فى نفسى شيء من أحد والحمد لله . وقد كنت فى دروسى آخذ بتلابيب أساتذتى ولكنى كنت أجلهم وأحبهم حبى لوالدى ، وما زالت هذه صلتى بهم . فلا عجب أن اغتبطت بهذا الخبر ، وأكبرت هذا التقدير لذلك الأستاذ الجليل ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

حدث في الفكر الإسلامي :

نشرت مجلة الثقافة[1] بحثاً كبيراً في مسألة تعدد الزوجات لمعالي الأستاذ عبد العزيز فهمي باشا ، ذهب فيه إلى أن تعدد الزوجات إلى أربع غير قائم على سند من القرآن صالح لقيامه عليه ، وأنه بمقارنة بعض الآيات ببعض يظهر أن الأصل تحريم التعدد ، وقد وصل معاليه إلى هذه النتيجة من طريق تفهم الآيات القرآنية وتذوق بلاغتها ، فجاء بحثه تشريعياً أدبياً قيماً خطيراً ، قيمته في البراعة في معالجة الموضوع ، وخطره فيما انتهى إليه من الرأي ، وهو لهذا يعتبر حدثاً جديداً جللا في تاريخ الفكر الإسلامي من غير شك .

اعتمد الباحث الكبير في رأيه على ثلاث آيات من سورة النساء ، هي :

١ — الآية الثانية من السورة وهي : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً »

٢ — الآية الثالثة ونصها : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا »

٣ — الآية التاسعة والعشرون بعد المائة ونصها : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »

قال : « إن الكلام في الآيتين الثانية والثالثة من السورة مسوق لتحقيق فضيلة العدل في المعاملة ، فأشار في أولاهما إلى ما كان حاصلا من أكل المخاطبين أموال اليتامى الذين في ولايتهم ومن العبث بها ، وقد أمرهم باجتناب هذا العبث وعدم التورط فيه لأنه إثم عظيم . ولما كان بعض اليتامى إناثاً في حجر المخاطبين وكان لمن أموال تحت يدهم ، وكان من عاداتهم السيئة أنهم يتخذون هؤلاء اليتامى زوجات لهم ويمسكونهن هن وأموالهن ضراراً ، وكان هذا أشنع مظهر من مظاهر أكل مال اليتامى ، فتتميماً لفكرة تحقيق العدل (التي في الآية الثانية من السورة) وتثبيتاً لها أشار في الآية الثالثة إلى هذا المنكر ، وأتى بأبلغ ما يكون من القول لصرفهم عنه . إنه يقول لهم : إذا فهمتم قولي في الآية السابقة وعلمتم أن أكل مال اليتامى مطلقاً (من ذكور وإناث) إثم كبير ، فلا تتذرعوا إلى هذا العبث بنكاح اليتيمات اللاتي في حجوركم ، بل تعففوا عن نكاحهن المفضي بكم إلى أكل أموالهن ، ولديكم ممن تستطيبونهن من غيرهن من النساء كثيرات ، تستطيعون أن تنكحوا منهن ما تشاءون ، لا واحدة ولا اثنتين واحدة بعد أخرى ، ولا ثلاثاً واحدة بعد الاثنتين الأوليين ، بل حتى مثنى وثلاث ورباع ، أي جزافاً بلا حساب ولا عدد » ؛ وأشار إلى ما في التعبير بهذه الكيفية من الهزء والسخرية بالمخاطبين ، وإلى أن أساس القول في الآيتين فكرة العدل ، ثم دلل على أن الآية ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات بأدلة منها أن « تحديد عدد الزوجات من الأمور الأساسية في التشريع للعرب ، لأنه يصادم عادة متأصلة فيهم ، والقرآن أجل من أن يأتي بهذا الشأن الأساسي بصفة عرضية جواباً لعبارة شرطية بعيدة بظاهرها عن هذا الشأن ولا مناسبة بينها وبينه ؛ إذ الحق أن أحداً لا يستطيع أن يفهم ما هو الارتباط بين خوف عدم الإقساط في اليتامى وبين نكاح النساء وإلى أربع فقط . إن القرآن لأجل بلاغة من أن يأتي بهذه المفارقة » ؛ ومنها أن كلمة « ما » في قوله « ما طاب لكم » من أقوى ما يكون في إفادة العموم ، وليست موصولة ، ونبه إلى بلاغة القرآن في أنه استعمل كلمة « طاب » ولم يستعمل « حل » ، لأن الطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراماً ، وقال : « إن مثنى وثلاث ورباع » معناها المتفق عليه عند الجميع اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، لأنها أوصاف معدولة عن أصلها العددي ، يقصد بها التوزيع الجذاف لا تحديد العدد .

وتساءل الباحث كيف تطمئن قلوب المؤمنين إلى الأخذ بما

(١) العدد ٤٦٧ .

يرون من أن فلاناً وفلاناً كان تحته ثمانى نساء أو عشر ، فلما نزلت الآية كلم النبى فأمره بإمساك أربع ومفارقة الباقيات ، وهل يعقل أن أية شريعة تأتى بتشتيت الزوجات وما قد يكون لهن من أطفال ؟ وقال : « ومن ناحية أخرى فإن قوله : (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) إن فرض أنه مسوق للتصريح بتعديد النساء إلى أربع فقط ، فإنه يقرر أيضاً حكماً أساسياً هاماً هو وجوب الاقتصار على واحدة عند خوف عدم العدل بين الأربع المزعومات . وهذا الحكم الأساسي كان يقتضى بطبيعة الحال أن يأمر النبى الناس بمفارقة ما زاد على واحدة ، لأن الخوف يملأ كل نفس » .

ثم قال بأن المقصود من عبارة « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » إنما هو تنظيم الحالة الوقتية وهى حالة الزوجات المتعددات الموجودات فعلا عند نزول هذا القول .

وقال : إن الدين الإسلامى عالج أحوال العرب بكل تؤدة ، وتدرج فى كثير من الأنظمة « وفى الموضوع الذى نحن بصدده الآن قد ترك القرآن الناس على حريتهم وعاداتهم يتزوجون أى عدد من النساء يريدون . وغير صحيح — فى نظرى — أنه حد من هذه الحرية نصاً أى تحديد ، بل كل الأمر أنه نبههم إلى القاعدة الأساسية فى تشريعه ، وهى مراعاة العدل والابتعاد عن مزالق الجور ، فأوجب على المسلم عند ما يقوم فى نفسه الخوف من عدم العدل أن يقتصر على زوجة واحدة ، ثم أكد هذا المعنى تأكيداً لا هوادة فيه بقوله : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ؛ فأصبح الأصل الواجب أن يحتذيه كل مسلم يريد الاحتياط لنفسه هو الاقتصار على زوجة واحدة » .

ثم قال بأنه يحل الخروج عن هذا الأصل إلى التعديد فى حالتين : الأولى إذا انعدم الشرط بأن انتفى موطن خوف الجور بتاتاً كحالة زوجة مريضة أصبحت نهائياً لا تصلح للمباشرة ؛ والحالة الثانية إذا قضت الضرورات الماسة إباحة التعديد كحالات الحروب التى يقتل فيها الرجال ، فلا محيص من تعديد الزوجات تكثيراً للنسل من الذكور .

ثم تناول مسألة خصوصيات النبى فقال : إنها فيما يتعلق بالزواج ليست خصوصيات تمتع ، بل خصوصيات حرمان أو تكاليف مست إليها الضرورة لتحقيق المصالح الدينية والاجتماعية ، وقضت بها السياسة الشرعية القائم هو دون غيره بإجرائها . وفصل القول فى الحالات التى تزوج فيها بعد نزول الآيات السابقة مبيناً مبرراتها التى منها — فى مسألة زينب بنت جحش — أن الغرض منها إبطال عادة التبنى وما يترتب عليهـا من تحريم مطلقة المتبنَّى أو المتوفى عنها ، وذلك بشىء عملى يبهر النـاس ، فاختار الله النبى ليكون هو مثال المتبنِّى الذى يدور على شخصه تحقيق موجب التشريع ، وعلى هذا يكون الذى أخفاه فى نفسه هو تأذيه من أن يكون هو المبتلى بذلك .

ومن تلك المبررات لجوء المطلقات والأرامل والبائسات إليه ، وعد كل ذلك محناً وتكاليف مشوبة بالمشقة والحرمان ، ومن ذلك المؤمنة التى تهب نفسها للنبى ، ومثل لها بقوله : « بحسبك أن تتخيل أن الحكومة المصرية مثلا أصدرت قانوناً يلزم كل من تولى رياسة الوزراء أومشيخة الأزهر أن يتزوج أية امرأة مصرية مؤمنة تعرض نفسها عليه — بحسبك هذا لتدرك أن يوماً واحداً لا يكاد يمضى على صدور مثل هذا القانون حتى يضج الرئيس أو الشيخ ويفر من منصبه ، وهذا حتى لو كانت الوافدات أبكاراً مكنونات مكفيات المئونة ، لا أرامل أو مطلقات من السنات المستعطيات » .

ثم بين كيف مال المسلمون إلى عدم التدقيق فى تأويل النص القرآنى وانحدروا إلى القول بإباحة الأربع إطلاقاً — بين ذلك باستعراض حال الجنود فى الحروب الإسلامية الأولى ، واضطرارهم إلى الاختلاط الجنسى والزنا محرم عليهم فلم يجدوا إلا التزوج وتكريره مع تعدد الوقائع والتنقلات ، وتسوهل معهم فى ذلك لأن الجنود مدللون فى كل أمـة ، ودام ذلك بدوام الحروب والثورات التى استمرت حتى جاء عصر التدوين ، وكانت عادة الأربع قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة التى سرت إلى غير الجنود فاضطر الفقهاء إلى مسايرتها ، وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى كما تساهل فيه المحاربون الأولون .

تعقيب :

وقد سرت مع الباحث الكبير معجباً بقوة حجته ونصاعة بيانه ، ولكن عنّ لى فى بعض المواطن ما أدلى به فيما يلى :

١ — أباح التعدد فى حالتين ، حالة انتفاء موضع الجور ، وحالة الضرورات . فإذا سلمنا بالحالة الأولى لبطلان المشروط بانتفاء الشرط ، فمن أى باب ندخل إلى الحالة الثانية ؟ يقول من

باب « الضرورات تبيح المحظورات » والضرورات يمثلون لها فى الفقه بمثل من تحقق هلاكه إذا لم يأكل الميتة ، فهل ضرورات الحروب وما إليها تماثل ذلك ؟ ثم ألا يرى أن جواز التعدد فى الحالتين معناه إباحة التعدد إباحة مقيدة ؟

٢ — قال بأن الآيات (التى بنى عليها رأيه) نزلت وعند كثير من المسلمين وفى جملتهم النبى عدد من الزوجات ، فكان التشريع للمستقبل ، ونظمت الحال الواقعة بـ « فلا تميلوا كل الميل ... » ويفهم من هذا أن النبى وقع فى بعض عادات العرب السيئة التى أبطلها الإسلام ، والمأثور أن ذلك لم يكن .

٣ — الملاحظتان السابقتان من عمل الذهن ، أما الملاحظة الثالثة فهى شعورية ... فكم يصعب على أن أتصور المجتمع الإسلامى من الصدر إلى الآن — فى هذه الغفلة العجيبة فيما يتعلق بهذا الموضوع .

كرسياد آخراد فى المجمع اللغوى :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسة يوم الإثنين شغل الكرسيين الخاليين فيه بعضو عراق وعضو فلسطينى ، وحددت جلسة يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر الحالى للترشيح وتحديد جلسة بعد لانتخاب العضوين من بين من يرشحون .

وهذان الكرسيان هما الباقيان من الأربعة التى كانت خالية بالمجمع وشغل اثنان منها بانتخاب الأستاذين على عبد الرازق والمازنى منذ أسبوعين . ومما يذكر أن العضو العراق سيحل محل الأب أنستاس مارى الكرملى الذى توفى فى هذا العام ، أما فلسطين فلم تكن ممثلة فى المجمع وسيأخذ مندوبها كرسيا كان مشغولا بمصرى من الثلاثة المتوفين . ومن الأسماء التى تتردد للترشيح عن فلسطين الأديب اللغوى الكبير الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى .

المسرح الأوربى بعد الحرب :

تحدث الأستاذ صلاح ذهنى بنادى الخريجين المصرى يوم الجمعة عن مشاهداته فى مسرح أوربا بعد الحرب ، فتناول فى حديثه المسرح فى إيطاليا ، وفى فرنسا ، وفى انجلترا ، فقال إن فن الأوبرا الذى عرفت إيطاليا بالتبرز فيه لا يزال على أوضاعه القديمة يحكمه الغناء والموسيق ويخضع له التمثيل والإخراج ، أما المسرح الاستعراضى فقد أصبح فى إيطاليا ميدانا لتناحر المذاهب السياسية ، وعلى الأخص الشيوعية والديمقراطية المسيحية ، وهو وإن كان يعالج المسائل الوطنية والمشاكل القومية إلا أنه يلاحظ أن القوة اختفت منه ، والمراد بالقوة الدعوة العريضة التى كانت تردد أيام الحرب فى العهد الموسلينى . وقال الأستاذ إن استخدام المسرح فى الوطنيات بإيطاليا الآن يشبه ما كانت تصنعه الفرق الاستعراضية بمصر سنة ١٩١٩ ، وخاصة ما كان يلقى فيها من الأناشيد الحماسية

ثم وازن بين المسرح الانجليزى والفرنسى من حيث التجديد فقال إن الأول يسير على طبيعة الانجليزى فى المحافظة وعدم الإسراع فى استقبال التيارات الجديدة ، فتجد المسارح الكبيرة جارية على تقاليدها ولا تكاد ترى الجديد إلا فى المسارح الصغيرة ، أما فى فرنسا فالأمر على خلاف ذلك جريا على طبيعة الفرنسيين فى سرعة الاستجابة لدواعى التقدم ، ومن أمثلة التقدم فى الإخراج الفرنسى أن إحدى الروايات القديمة كان البطل فيها مصورا على أنه كاره للانسانية ، فجعله المخرج عصبيا يفسد باضطراب أعصابه أعماله وعلاقاته بالناس ، واستعان المخرج فى ذلك بعلم النفس وبالضوء إذ يرسل على الشخصية أشعة خاصة تهيج الأعصاب وقال إن عادة الترفيه أيام الحرب قد غلبت على المسرح الفرنسى فمن المشاهد أن يخرج الممثل عن دوره ليأتى بحركات ونكات مضحكة . وقال إن المسارح هناك تتمتع بحرية عجيبة فى عرض المبادئ السياسية ، والشيوعية هى المتغلبة هناك . أما ما عرفت به فرنسا قبل الحرب من المسارح المجونية المهتكة فلا يزال كما هو .. ولم تستفد فرنسا من محنتها القاسية التى أوقعها فيها انحلالها الخلق وانغماسها فى الترف واللذات كما قال بيتان .

وقال المحاضر إن انجلترا تشكو الفقر فى التأليف المسرحى ، وإن المسارح الناجحة فيها هى المسارح الأمريكية التى غزتها وتغلغلت فيها ، حتى أنك تجد المسرح الرائج الذى يمثل فيه ممثلون انجليز إنما تعرض عليه رواية أمريكية ، فالسائد هناك هو الفن الأمريكى . وقال إنه شاهد فى بعض المسارح الصغيرة نوعاً غريباً من التجديد ، فالمؤلف لا يضع إلا الفصل الأول يصور فيه المشكلة ، ثم تسدل الستارة ويؤخذ رأى الجمهور فى حل المشكلة ، وعلى حسب هذا الرأى يعمل المخرج فى إظهار المنظر التالى ... وهكذا حتى تنتهى الرواية ، وهى لهذا تأخذ وقتاً أطول من المعتاد

وختم المحاضر حديثه بأن المسرح يعيش فى أوربا لأن هناك جمهوراً ممثلا ورواية ، أما مصر ففيها ممثل ولكن ليس فيها جمهور ولا رواية .

« العباس »



رسائل الصاحب بن عباد

(صححها وقدم لها عبد الوهاب عزام بك ، وشوقى ضيف)

الصاحب بن عباد من أئمة أدباء القرن الرابع ، وهو تلميذ ابن العميد ، وكلاهما كان وزيراً فى دولة بنى بويه . وكانت آثار الصاحب بن عباد مطوية فى بطون المخطوطات حتى نهض الأستاذ العميد وصاحبه ، فأخرجاها إلى نور الطباعة ، مع العناية بالتصحيح والتحقيق ، وتجلية الصاحب بالتعريف والتقديم . فإذا بالجوهرة الخفية فى خزائن الدور ، تتكشف وتبرز إلى النور ، وهذا عزم من الأستاذ عزام مشكور ، يحمده له قراء العربية ، لأن إبراز كنوز الأدب القديم يعد الخطوة الأولى فى بناء الحضارة الإسلامية.

ولهذه الرسائل قيمة تاريخية ، وقيمة أدبية ، كما ذكرا فى المقدمة ، ونستطيع أن نضيف إليها قيمة اجتماعية كذلك . فالباب الأول فى البشائر والفتوح ؛ والثانى فى العهود ؛ والثالث فى الأمان والإيمان والموافقات والمناشير ؛ والرابع فى الوصاة بالحجيج والمصالح وأمر الثغور ؛ والخامس فى الاستعطاف لقلوب أولياء الدعوة والتودد إليهم بمباسطتهم وما يقارب ذلك ؛ والسادس فى إصلاح ذات البين والدعاء إلى الطاعة وتهجين العقوق بين ذوى الأرحام ؛ والسابع فى المدح والتعظيم ؛ والثامن فى الذم والتهجين ؛ والتاسع فى التهانى والأجوبة ؛ والعاشر فى التعازى ؛ والحادى عشر فى الإخوانيات والملاطفات والمداعبات ، والثانى عشر فى التشكر وما يشاكله ؛ والثالث عشر فى الاستزارة والتقريع ؛ والرابع عشر فى التنصل والاسترضاء ؛ والخامس عشر فى الشفاعات ؛ والسادس عشر فى توصية العمال بتجلب المال وإظهار العفاف وحسن السياسة ؛ والسابع عشر فى الآداب والمواعظ . الخ

وقد عرضت فهرس هذه الرسائل لتعلم أنها تتشعب فى كل فن وتضرب فى كل باب ، حتى لتعد صورة صحيحة للعصر الذى كان يعيش فيه الصاحب ، بل هى مرآة للحياة الاجتماعية وما ينبغى أن يكون عليه أدب السلوك ، أو الأخلاق العملية كما نعبر اليوم . ولهذا كنت أحب ألا يقف المدخل الذى دبجته براعة العميد وصاحبه فى التقديم عند حد القيمة التاريخية والأدبية للرسائل . وفى الحق إن هذه الدراسة مثال لما ينبغى أن تكون عليه دراسة الأدباء فى تحقيق سيرتهم ، ونقد أساليبهم ، لولا الطمع إذ كنا نشتهى المزيد . ولا تظن أن هذه الدراسة قصيرة فهى تقع فى عشرين صفحة من القطع الكبير .

أبرز صفة فى هذه الرسائل ، وهى مما يمتاز به الصاحب بن عباد أو قل إن شئت إنها سمة العصر كله ، التزام السجع وتكلف البديع أو كما انتهى المدخل إلى القول « ونرى من كل ما سبق أن الصاحب عنى فى رسائله بالسجع ، فلا ينفك عنه إلا نادرا ، كما عنى بطول الجمل وتحليتها بالبديع ، وخاصـــة الجناسات والاقتباسات والتشبيهات والاستعارات » .

وعنـدى أن شيوع الزينة اللفظية ، والتنميق الخارجى للأساليب ، إنما يرجع إلى أن الحضارة الإسلامية وقفت عن الابتكار ، وانصرف الناس مع استتباب الملك وغنى الدولة إلى شغل الفراغ بالتأنق والتجمل ولهذا نجد الحلية والزركشة والزينة تدخل إلى صميم كل فن من الفنون . حلية فى الخط والكتابة ، وفى النقش والعمارة ، وفى الملابس والنسيج ، وفى الشعر والنثر كذلك .

وسأل المحققان فى دراستها أنفسهما سؤالا له قيمة عظيمة « أكان للفارسية أثر فى كتابة الصاحب ، وقد قلنا آنفا إنه كان يتقن الفارسية ؟ » .

ويبدو أن عبد الوهاب عزام بك — وهو أستاذ الأدبين والعارف باللغة الفارسية — آثر التحوط فقال « وأما أن تركيب الجملة العربية طاوع تأثير الفارسية ، أو أن أسلوباً من أساليب العربية يعد محاكاة لأسلوب فارسى ، فأمر عويص ينبغى ألا يقدم عليه الباحث المتثبت إلا بعد بحث طويل دقيق » .

فأنت ترى أن علامة الاستفهام لا تزال موجودة أمام السؤال والطريق مفتوح أمام الباحثين .

وقد وقفت طويلا عند قول المحققين « ونحن نجد في الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه » . فهذا البحث ، وأعني به الاعتزال والكلام وما يتصل بهما مما تهفو إليه نفسي ، وكنت أحب أن أجد في الرسائل ما يشبع رغبتي ، صحيح إن ياقوت يقول عنه إنه كان « مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال » . غير أن قول ياقوت يحتاج إلى تأييد من نصوص الصاحب نفسه .

والذي اعتمد عليه المحققان في نسبة الاعتزال إليه ما جاء في الرسالة التاسعة من الباب العاشر « مولاي يتدين بتعديل ربه ، ويعرف مواقع اللطف في صنعه ، ولا يشك في اقتران الصلاح بفعله » . وهما يعتمدان أيضاً على رسالتين في الباب السابع عشر حيث يقول في الرسالة الثانية إلى أحد الشيوخ بعد كلام « وعلى هذا الذكر فقد كان هذا البلد من البلاد المستغلقة على أهل عدل الله وتوحيده والتصديق بوعده ووعيده . هذا وفي فقهائه وفور وفي الفضل به ظهور ... » وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، أعظم من شهرتهم بالتعديل والصلاح.

وجاء في الرسالة الثالثة تحت هذا الباب نفسه ، يكتب إلى أهل الصيمرة « ... ووصل كتابكم ... إذ كنتم بحمد الله ومنه ، وطوله وفضله ، المشتهرين بالذب عن توحيد الله وعدله ، وصدقه في وعيده ووعده ، وكان بلدكم من بين البلاد كغرة أدهم وشهاب في ليل مظلم ، وما في النعم أجل موقعا ، وأهنأ مشرعاً من النعمة في القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شبه الله بخلقه ، فتتابع في جهده ، أو جوره في فعله فشك في حسن نظره وطوله» وهذا نص آخر أكثر في الاعتزال بياناً ، فيه العدل والتوحيد ، والصدق في الوعد والوعيد ، ونفي التشبيه ، وامتناع التجوير .

وهنا نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره عنه ياقوت من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال . ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو ، أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال » .

وبعد فإنا نهنىء المكتبة العربية بهذا الظفر الأدبي ، وبهذه الدراسة العميقة الممتعة ، ونرجو أن ينهج الذين يخرجون المخطوطات هذا النهج السليم .

أحمد فؤاد الأهواني

شجرة الدر

(تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان)

اتجه الأستاذ محمد سعيد العريان منذ زمن إلى القصص التاريخي الذي يجمع إلى عرض التاريخ وتحقيق حوادثه المتعة الفنية الأدبية ، وقد غنى بتاريخ مصر في العصور الإسلامية ، يجول في نواحيه بمصباح المؤرخ ، ويسرح بين وقائعه بخيال القاص الأديب . وأول عمل له في هذا الحقل قصة « قطر الندى » ثم أخرج بعدها « على باب زويلة » وفي شهر نوفمبر الماضي أخرجت له دار المعارف قصة « شجرة الدر » في سلسلتها الشهرية (اقرأ) .

تقع حوادث هذه القصة في نحو ربع قرن من الزمان ، يقع فيها أواخر العصر الأيوبي وأوائل عصر المماليك البحرية ، تبدأ في حصن كيفا الذي اتخذه الأمير نجم الدين أيوب قاعدة لإمارته في الشرق حيث ظفر هناك بالجارية الصغيرة الحسناء « شجرة الدر » التي ولدت له فيما بعد وأصبحت زوجته ، وتنتقل حوادث القصة إلى الترب مع ركب الأمير نحو مصر ، بعد أن بلغه نعى أبيه الملك الكامل ، وقد عول على أن ينتزع العرش من أخيه العادل الذي كان أبوهما قد ولاه العهد ، فيتم له ذلك بعد وقائع ومخاطر في الطريق كانت شجرة الدر عونا له على اجتيازها والتغلب عليها ويصبح الأمر في مصر للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وإلى جانبه زوجته شجرة الدر تعاونه بسديد رأيها ومحكم تدبيرها . حتى يغزو الصليبيون مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، فينزلون إلى دمياط ويهزمون الحامية ، ويقصدون إلى المنصورة التي اتخذها الملك الصالح قاعدة له في ذلك الوقت ، وتتجمع القوى المصرية فتفتك بالصليبيين فتكا ذريعاً ، ويؤسر لويس التاسع ، ثم يضطر المعتدون إلى إغلاء فدية ملكهم ويخرج من بقي منهم إلى بلادهم مدحورين . وفي أثناء ذلك يموت الملك الصالح وتخفي شجرة الدر أمر موته حتى يحضر ولده الأمير توران شاه من الشرق فيأخذ مكان أبيه ، ثم يقتله أمراء الجيش من المماليك الذين كان يستعين بهم الملك الصالح في حروبه ، وقد أبلوا في قتال الصليبيين وهزيمتهم . فتتولى الملك شجرة الدر ثم تتزوج أحد أمراء المماليك (أيبك الجاشنكير) وتخلع نفسها وتوليه ، ثم تقتله ، وتمتنع في برجها بالقلعة في حماية مماليكها حتى تموت.

ساق الأستاذ العريان تفاصيل هذه الحوادث في قالب من الخيال القصصي الممتع ، وتسير معه وهو ينسق أشتاتا من الأحداث

ويصور فنونا وألواناً من نوازع النفوس فتشعر بأنك تعيش في جوها وتعاشر أناسها ، كأن الكاتب سحرك فنقلك معه إلى حيث يضطرب خياله .. وقد بلغ الغاية في ذلك عندما هجم الصليبيون على قصر الملك الصالح بالمنصورة ، وتصدى لهم فرقة الحرس برياسة الأمير بيبرس ، وكانت شجرة الدر ترقب المعركة من النافذة وقد أهابت بفتاة من وصيفاتها يحبها بيبرس لتهتف به وتسمعه صوتها ، فتهتف الفتاة : « بيبرس بيبرس ! هذا يومك يا بيبرس ! » فيرفع إليها عينه ، ويجول بسيفه في الرقاب يقد الضلوع ويشق المرائر ويطيح الهام ويجندل الأبطال ، ويقضي هو وجنوده على جيش العدو ، فلا يبقى منه إلا الفارون .

وهدف القصة الأول تحليل شخصية شجرة الدر . وما وصل المؤلف إلى أواخر القصة حتى وجه كل همه إلى هذا الغرض ، فصور نوازع هذه المرأة الطموح وهي تحرص على المجد والسلطان وصور طبيعتها الأنثوية في معاملة الزوج وفي غيرتها وانتقامها — أدق تصوير .

ومن المفهوم أن المؤلف في هذا اللون من القصص التاريخي يحافظ على الحقائق التاريخية التي يلبسها ما ينسج من أثواب الخيال ولهذا وقفت عند ما أتى الأستاذ سعيد بخبر مجيء توران شاه إلى مصر والمناداة به سلطانا عليها بعد أن انتهى أمر الصليبيين ، كأن توران شاه لم يشترك في قتالهم ، وقفت عند هذا ، لأني أعلم مما اطلعت عليه من كتب التاريخ أن توران شاه حضر وقت اشتباك الحرب وكان له في قتال الأعداء بلاء ، وعرض الأستاذ أمر العلاقة بين الأمير نجم الدين وبين شجرة الدر على أنها في أول الأمر جارية مملوكة له ، ولما ولدت له ابنه خليلا قال إنها أصبحت زوجته ، ومن نظام الأحوال الشخصية في الإسلام أن الجارية أم الولد غير الزوجة ، ولم يذكر الأستاذ أن الأمير عقد زواجه عليها ، ثم سار في القصة على أنها زوجته

وثمة شيء قد ارتضاه الأستاذ العريان في حبكة القصة ، ولكني أخالفه فيه ، هو ذلك التنجيم ، من حيث الحديث عنه وسياقه على أنه محقق الوقوع . ولست أنكر ما كان للتنجيم من شأن وذيوع في تلك العصور ، ولكني أرى عند الإتيان به أن تسلط عليه أشعة تكشف أباطيله أو تشكك فيه على الأقل ، فلم أكن مع المؤلف في الرأي لما سخر الأقدار في تحقيق كل ما تنبأ به أبو زهرة المنجم بجملته وتفاصيله !

العباس خضر

معاني الفلسفة

(تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهواني)

ما أقدر الله أن يجمع الفلسفة كلها — منذ نشأتها إلى اليوم — في كتاب محدود الصفحات . وذلك عمل يحتاج إلى التركيز والضغط أقل مما يحتاج إلى التفهيم والفهم . فإن ضغط الأسفار الضخام إلى سفر واحد صغير يبدو في ذاته عملا سهلا ومركبا هيناً ، ولكنه في الحق يحتاج إلى أدوات من حسن الاستعداد وهضم المادة ومطاوعة التعبير حتى يكون طيعاً للمعاني الموجزة والأفكار المركزة .

وأظن هذه الأدوات قد اجتمعت للدكتور الأهواني فجاء كتابه في معاني الفلسفة على خير ما تجيء عليه كتب الخلاصات العلمية التي كونتها قراءات وأمدتها مطالعات بين القديم والحديث ، وبين العربي والإنجليزي والفرنسي .

وقد فرح مؤلف الكتاب لأنه رأى الناس — يعني ناس العرب — يقبلون على الفلسفة ، بعد أن ظلوا بعيدين عنها نافرين منها . وهي فرحة الزارع حين يحصد ، لأن صديقنا المؤلف اشتغل بتعليم الفلسفة ولا يزال مشتغلا بها . ولكنه — أثابه الله — ما باله يضيع وقته ويفني عمره في تعليم الفلسفة مع أنه يقرر في الصفحات الأولى من الكتاب أن كل إنسان ما دامت له نظرة في الحياة فهو فيلسوف . وقد يكون هذا الكلام مقبولا من أديب أو شاعر ، أما أن يصدر من مشتغل بالفلسفة ومعلم لها فذلك مالم أستطع أن أفهمه . وأنا أجد أن أصحاب الصناعات دائما يحاولون تعميتها على غيرهم ويلبسونها ثوبا من الرهبة المحوطة بالغموض . ولكن الدكتور الأهواني يكشف بضاعته من الفلسفة في غير خفاء . ويهون في أول الكتاب من أمر الفلسفة حتى ليجعل الناس كلهم فلاسفة ؛ فإذا مضيت معه في ثنايا الكتاب وجدت الفلسفة على حقيقتها ليست شيئاً كما يحاول أن يجعلنا نتصوره . ووجدت في قوله بفلسفة كل إنسان في الحياة مغالطة في التعبير ؛ وأكاد أجزم أنها مغالطة مقصودة في أول الكتاب ليستدرجنا بها إلى آخره ... ودليلي على ذلك أن المؤلف استدرجني أنا إلى قراءة الكتاب لأميز على الأقل بين فلسفتي التي يزعمها في ، وبين فلسفة الذين كونوا تلك المذاهب العالية . فأدركت آخر الأمر أنني كـكل إنسان عادي ...



رواية الناصر

[تأليف الأستاذ عزيز أباظه باشا]

للأستاذ حبيب الزحلاوي

ما أكثر النواحي الجذابة في هذه الرواية ، بل ما أكثر ما اضطرتنا مشاهدها إلى الالتفات إلى الدقائق التي يخالها البعض من النوافل ، وما هي في الحقيقة إلا في الصميم .

تجمع رواية الناصر بين بدائع الأدب الرفيع ، وروائع الفن الجميل ، وجلال الملك ولكل من هذه الخصائص روعة وجلال يهزان الشاعر ، ويطمئنان الروح ، ويثيران النخوة ، وقد فعلت فعلها في نفس كل من حضر تمثيل هذه الرواية على مسرح الأوبرا .

مؤلف هذه الرواية شاعر مطبوع على الشعر ، وفنان موهوب يساير سجيته بدون عنت ، ويماشي فنه بفطنة وبساطة ، لا يجنح جنوح المتفيهقين في التنقيب على الكلمات المهجورة يحشوبها شعره ، ولا يحذو حذو المتمالين المتمالين من أمثال الشعراء الرمزيين ، بل جمع عناصر إحساسه ، وحشد شوارد خياله في بوتقة شخصيته الخلاقة ، وجعل مشاعره تتأثر لتتفاعل فتتحول إلى حياة عاطفية وذهنية . وقد حتم على نفسه ، لأمر خاص ، أن يستمد موضوعه من وقائع التاريخ العربي في الأندلس ، الحافل بعظائم الأمور ، فاستمده ، في هذه المرة ، من ناحية متواضعة من حياة الناصر في قرطبة .

طبع الأستاذ الفنان عزيز أباظه روايته هذه بطابع خاص ، فخرجت تحمل سمات الوضوح، والملاحظة ، والإنسانية ، والعطف والحب أيضاً ، كما خرجت أيضاً تحمل سمة تقرير الفكرة تقريراً مباشراً ، مصورة صوراً بديعة للجمال الطبيعي ، والوقائع المادية ، وخلجات النفس ، ولهثات الصدور ، ورعشات الأفئدة ، وبسمات الفرح مرسومة رسماً أميناً يستمد حسنه المنسجم من النور واللون ، والجرس والإيقاع ، ومن براعة اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني ،

لست فيلسوفاً ولا مشتغلا بالفلسفة . وأدركت أن نظرة كل إنسان إلى الحياة لا تسمى فلسفة ، ولا يسمى صاحبها فيلسوفاً . وإلا لكان زهير بن أبي سلمى الشاعر الحكيم فيلسوفاً بسبب هذه الحفنة من النظرات التي وضعها في معلقته . أو كان أبو العلاء المعري فيلسوفاً بماله من وجهة نظر خاصة في الحياة

وقد قسم المؤلف الكلام على الفلسفة متمشياً مع تاريخ العصور ، فهو يبدأ من اليونان ثم الرومان ثم المسلمين حتى يصل إلى عصر النهضة الأوربية فالعصر الحديث . وهو تقسيم كان أكثر منطقاً لو أن المؤلف يؤرخ للفلسفة . ولكنه يشرح لنا معناها ؛ فما كان أغناه عن هذا التقسيم الزمني الذي لا تراعى فيه معاني الفلسفة — قرباً وبعداً واختلافاً واتفاقاً — بقدر ما راعى فيه تتابع العصور . وقد اضطره المنطق الصحيح للأشياء أن يتحدث عن التوفيق بين الفلسفة والدين عند المسلمين وهو يتحدث عن فلسفة الرومان — ص ٣٦ ؛ لأن المقام هنا ليس مقام زمان ولكنه مقام وحدة في الميزان .

ويقول المؤلف ص ٣١ إن صاعدا الأندلسي يذهب إلى أن الفلسفة الاسلامية عربية . وقد حيرني هذا الكلام فأن المؤلف ينقل في الصفحة نفسها عن صاعد الأندلسي قوله : (وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله — أي العرب — منه شيئاً ولا هيأ طباعهم للعناية به . ولا أعلم أحداً من صميم العرب شهر به إلا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي) . فكيف يتفق استنباط الدكتور مع قول صاعد نفسه ؟ ودع عنك أن الرواية الصحيحية لقول صاعد هي : فلم يمنحهم الله عز وجل شيئاً منه — إلا أبا يوسف) بنصب أب بعد الاستثناء . « كتاب طبقات الأمم لصاعد ص ٧٠ طبعة السعادة » .

ويبقى كتاب معاني الفلسفة بعد هذا معرضاً دقيقاً لماهية الفلاسفة ومذاهبها المختلفة من أقدم عصورها إلى اليوم ، وهو معرض قدمه الدكتور الأهواني على مائدة ليس فيها ذلك الدسم الذي تهوع له النفس ، ولكن فيها تلك البلغة التي يتزود بها العجلان .

محمد عبد الغني حسن

وقد صب ذلك كله فى قالب حلو كل الحلاوة ، مسبوك فى بحور عديدة من العروض متناسقة متناسبة شجية الإيقاع والنغمات .

***

لا يسأل المؤلف الروائى فيما كتب فأخطأ ، ولا يناقش فى أوضاع أرادها لأبطال روايته ، لأن واجب الناقد هو التعرف على مبلغ الجودة فيما ألف وصنف — وليس للجودة فى طبيعة الشعر سوى الذروة السامقة مقاماً — والشاعر أباظه باشا ، رسم لنا فى روايته هذه بعض مشاهد من أخريات حياة « الناصر » ولمحة من حياة ولديه « الحكم » ولى العهد ، وعبدالله ، أما الحكم فقد كان مفتوناً بحب الجارية « شفق » وهى فتاة أسبانية أسيرة تبناها الناصر وصغى قلبها إلى ولى عهده ، ولـكنها متحيرة حيرة الوفاء ، وحيرة الإنصات إلى الهاتف الداعى إلى واجب الوطن والأهل . وكذلك رسم لنا صورة « لعبد الله » المتآمر بعرش أبيه ، وأخرى للسيدة « الزهراء » زوجة الناصر وقد عرفت بالجمال الفاتن والرأى السديد ، وصورة ثالثة بالغة غاية الأمانة والصدق لشخص الجاسوسة « منى » وقد تركزت إرادتها فى العمل على دك سلطان العرب فى الأندلس ، واجتثاث حكمهم فيها ، وإعادة أهلها إلى الاستظلال بعرشهم المسلوب .

وهـكذا دارت الرواية حول هؤلاء الأبطال الذين يضمهم القصر ، ويجذبهم العرش ، وتتعارض بينهم الأغراض والمآرب ، تارة فى حوار متصل أو متقطع بين شخصين اثنين أو أكثر من شخصين ، وتارة أخرى بنفس طويل صاخب أو رقيق همّاس ، أو بروح رضية عقلية أو وجدانية .

لا شك عندى فى أن المؤلف قد أجاد فى جمل شخصيته الخاصة تعيش فى المواقف التى تخيلها ، وكذلك أجاد مرة أخرى فى أنه سما فى شعره بجمل الشخصيات البارزة فى الرواية تقف الموقف المتخيل فى ذهنه هو . وإنى أقتبس بعض أبيات من مواقف « للحكم » من حبيبته « شفق » ومن موقف لهذه الجاسوسة « منى » ، وشذرات مما جاء على لسان الناصر للتدليل على ما ذهبت إليه فى وصف شعر الشاعر .

الحكم :

يا منية النفس قد أدركته أملا   رقت له النفس أعواماً وأعواما

أذكيت فى القلب وقداً قد سموت به   فـكان حباً وتقديســاً وإعظاما

لو لم تكونى فدتك النفس غانمة   لـكنت عتباً وأشواقاً وأحلاما

وكنت تسبيحة للروح هامسة   زكت قصيداً وتوقيعاً وأنغاما

شفق :

وأنت إن لم تكن قوام مملكة   لـكنت فوق قلوب الغيد قواما

ترنو فتلهبها وجداً ، وتسعرها   وقـداً ، فتهتز آمالا وآلاما

فلا اللواعث من دقاتها هدأت   ولا الذى نج من أجراحها التاما

وكنت أرفع ما ازدان الوجود به   وحياً من الخلق الأسمى وإلهاما

ويقول فى موقف آخر :

بعض الحنان يا شــفق   حُطم قلبى يا شــفق

أكان ذنبــاً يوم رفّ   فاصــطفاك فعشــق ؟

وإنـــه قبـــلك ما   ذاق الهـــوى ولا خفق ؟

وإنـــه ضمـــك فى   حياته ثم انصـــفق ؟

لئن جـــنى فإنه   عذب فوق ما استحق ؟

لو اســتطاع لبكى   ولو أطـــاق لنطق

ويحيى له إذا اشتـكى   لألفـــه فـــلم يرق

وإن هفـــا لنظرة   أو بســـمة فلم يذق

بصـــبح لم يغف فإن   دجى له الليـــل أرق

حـــدثنى أنـــك أشـ   ـفقت عليه ، هل صدق ؟

أتسمعين يا شـــفق   أترحمين يا شـــفق ؟

شفق : أخى!

الحكم :

أخوك شفه   وقـد جفـــاك فاحترق

يا نفحـة النسـمة تشـــتف جنى الروض العبـــق

يا طلعـة الفجـــر إذا   الفجر من السحب انبثق

يا قبـلة الطـــلّ إذا   الطـــل على الزهر ائتلق

يا غنـوة الليـل شـــدا   ها الليـل وهـو مغتبـق

يا نظـــرة العتب إذا   العتب استكان ورفق

يا رجفـة الشـوق إذا   الثغـر على الثغـر انطبق

يا همسـة الرضـا الـكريم   واللقـــاء يســـترق

لم ينطق اللفـظ بهـا   فالتمسـت عنـــد الحدق

وددت لو يتسع المجال فأقتبس من شعر الشاعر ما ينهض

الدليل الذى لا يدحض على أنه استطاع أن يجعل أبطال الرواية يعيشون فى المواقف التى تخيلها هو ، ولكن ذلك متعسر بسبب الحوار ، والحوار جماله فى سماعه ، وسحره فى تراشق المتجاورين بالكلام الممزوج بالانفعالات النفسية التى تتماوج مع الصوت ، وترتسم على الوجه ، وتبدو فى الحركة والاشارة . وبرغم ذلك أجدنى ملزماً بنقل قطعة من حوار غير متقطع قام بين الجاسوسة الأسبانية وبين الجارية الأسبانية التى تبناها الناصر وأحبها ولى عهده ، وإنى أدعو إلى الاستمتاع ببديع الحوار فى هذه الرواية كل محب لالتقاط المنثور من روائع الحيرة والحب والوفاء بين شفتى « شفق » أمينة رزق الممثلة البارعة ، والاستهداف لشظايا الضغينة والحقد والانتقام تقذفها من جوارحها « منى » فردوس حسن ، الممثلة الممتازة فى البراعة .

منى :

أمة أنت فى الذؤابة منها ... ذاقت الذل بعد عز رفيع
فى بلاد ديست وشعب تردى ... فى قرار من الهوان وضيع
هتك الناصبون من كل علج ... مسلم .. ستر مجدها الممنوع
أو سمونا مذلة يا ابنة العم ... فمشينا نلذ طعم الخضوع
كالأرقاء والعبيد يرون البغى ... حقاً للسيد المتبوع
يا ابنة العم .

شفق :

فاسمعى لاتهيجى ... حزة النفس بعد طول هجوعى
أنا بنت الخليفة السمح أفد ... يه بنفسى وعترتى وجموعى
الوفاء الكريم يعمر قلبى ... والوداد المقيم ملء ضلوعى

منى :

أوفاء لمن رماك فاصمى ... ك فاجلاك عن حماك المريع

لم يغفل المؤلف الشاعر عن تصوير جلال الملك وجلالة الملوك، ولم يتورط فى رسم سجايا غير سجاياهم وخلائق ليست خلائقهم ، بل أطلق ريشة رسام « سيانى » تستوى عنده الفوضى والنظام ولكنه ينحرف عن جادة الحق والصدق فقال مرة بلسان «شفق» العاشقة الحيرى « غرام الملوك وشيك الزوال قصير المدى » فيردها عاشقها إلى الحق فيقول لها .

ظلمت الملوك ولم تنصفى ... فإن الملوك ملوك الهوى
عرفنا الهوى مهجاً تلتقى ... عطاشاً وأفئدة تكتوى

ويقول مرة بلسان الناصر :

قد خبرنا فلم نجد لصلاح ... الأمر إلا النهوض بالأمر فردا

ويقول أيضاً :

بنينا على هام الجزيرة دولة ... تأشب فى أعطافها العلم والمجد
فلما استقرت واستطالت ترادفت ... عليها من الأهل الخيانة والحقد

ويقول أيضاً :

أيرضى المعز الأمر يخرج من يدى
ليخلفنا الأفرنج فى ملكنا قسرا
إذا ما تنازعنا شعوباً وقادة ... ومنا رسول الله ذقنا الردى طرا
وإن لم نجاهد جبهة عربية ... موحدة كنا لأعدائنا جزرا

ويقول :

ويحسبنا الناس أوفى الدنى ... نعيما وأسعد قطانها
لقد جهلوا إن أشقى الرؤو ... س رؤوس تنوء بتيجانها

وأخيراً يقول :

إلى ذروة المجد سر بالجيوش ... محوطاً بمأثور إيمانها
حياة الملوك ومجد الملوك ... لأوطانها وبأوطانها

هل استوفى المؤلف غايته من وضع هذه الرواية على النحو الذى وضعها فيه ، أو أنه أراد شيئاً آخر فخانه القلم ولم يسعفه التوفيق فجنحت سفينته عن غير قصد إلى الشاطىء الآخر ؟

هذا سؤال لا أطلب جوابه ، ولكنى أبيح لنفسى القول ، أن رواية الناصر فى وضعها الحالى ، إنما هى رواية أندلسية ، وأن الجانب العربى فيها ليس بالجانب الفضل بدليل أن عناصر القوة تجمعت فى الشخصيات الأندلسية ، وأن عنصر الضعف تمثل فى الخليفة العربى الشيخ الفانى ، وفى ولى عهده الشاب المتيم المفتون ، وفى ولده الثانى الخائن المؤتمر بعرش والده ، وفى كبير الوزراء والخصى الضالعين معه ، ولم يسلم من الضعف من الشخصيات العربية سوى « الزهراء » زوج الناصر ، هذا ما شجعنى على القول أن طابع الرواية أندلسى موشى بالذهب العربى ، وهذا ما يحملنى أزعم أن الطابع الأندلسى هو الذى أزكى حدس النظارة فجعلهم يستشعرون بفطرتهم أن الرواية ليست روايتهم ، ولعل مرد ذلك إلى الشعور العربى السائد بيننا اليوم .

ليس يعني هذا أن الرواية لم تلق نجاحاً عظيماً ، بل أعني أن عنصر النقـد عند المؤلف البارع لم يكن حاد اليقظة ، ولـكني أقول بعقيدة وصدق أن الأستاذ الشاعر الـكبير عزيز باشا أباظه يملك أكثر الخصائص الأدبية والفنية التي تؤهـله لأن يكون أول مؤلف للمسرح بل المؤلف الموهوب الوحيد المعروف حتى الآن لمسرحنا العربي المرتجى .

***

الـكلام في فن الأستاذ زكي طليمات مخرج الرواية ، إنما هو تحصيل حاصـل ، وتحصيل الحاصل هذا معناه التعريف بما هو معروف عن هـذا الفنان المتتبع الدؤوب الذي لم تنقطع صلته بالمسرح قط ، والذي لم يغفل عن التطورات والمستحدثات وعن كل ما يمت إلى فن التمثيل بسبب . ولـكن يطيب لي أن أضيف تعريفاً جديداً ، وهو أن للمؤلف المسرحي يداً مغنطيسية تجذب الأستاذ طليمات تارة إلى فوق ، وعندها تتبدى مواهبه ، وتشرق معلوماته المدخرة ، وتتفتق ابتكاراته الذاتية ؛ وتارة أخرى تجذبه يد المؤلف السفّ إلى تحت ، وفي الحالتين يكون المسكين أسير الانجذاب .

لقد كانت يد الشـاعر عزيز أباظه باشا قوية في جذبها إلى فوق ، بل كانت روحه الشاعرية هي التي تغلغلت في مسارب مشاعر الأستاذ طليمات ، وقد انتفض كالنسر ، وتجرد للاخراج ، وأخذ يهدهد ويكمل عمل المؤلف ، أولا ، بإعطائنا صورة مجسمة للرواية ، ثانياً ، بإشراك خيالنا النائم ما أشركه الشاعر في حسنا ، ثالثاً ، في إدغام الخيال بالحس ليصيرا حياة واقعية عملية تتجسد في أقوال الممثلين وفي حركاتهم وتنقلاتهم وإشاراتهم ، لترتفع بعدها إلى عرش الذهن المفكر

لقد ملأ المخرج بصرنا وسمعنا بالأنوار والمناظر ، بالتوجيه والالفات ، بالإشارة والإيماءة ، بالسرعة والبطء ، بالـكثير الـكثير من الدقائق الفنية التي يعيها ويدركها ، وقد لا يعيها ويدركها سوى الإنسان المثقف .

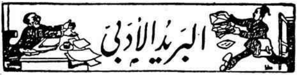
وليس أدل على ذلك من مواقف الممثلة أمينة رزق ، وقد كانت ندّابة نواحة ، غاضت البسمات في صدرها ، وشُلت أوتار وجهها ، وانساحت دموعها فياضة ، فقد أعادها الأستاذ طليمات إلى قاعدتها ، وخلقها خلقاً جديداً ، فاسترد ثغرها ابتسامته الحلوة ، وطفت على وجهها صور نفسها ، وصارت دموعها تقطر لؤلؤاً على خدين فيهما إشراقة الفرح بالحياة .

أما فردوس حسن فقد انطلقت على سجيتها في تمثيل دورها ، ونضت ثوب الصناعة ، فبدت كما براها باريها على اللدد والعنف والانتقام .

لقد تجلت عظمة هذه الممثلة في عنفها وقسوتها ، في نظراتها الحادة المشتعلة ، في نبرات صوتها الجافية ، في بصمات قدميها تطأ المسرح فيئن المسرح تحت قدميها ، في كظمها ما غاظها من مواطنتها وقد تنكرت لوطنها وقومها ، في استثارة نخوتها ، في التوسل إليها والاستنجاد بها ، في طمنتها النجلاء وقد أغمدت نصل خنجرها حتى قبضته ، في الأنة وقد شـفت غليل صدرها بالدم والقتل ! لقد سجلت فردوس حسن أعظم موقف في تاريخ حياتها الفنية لأنه دور يوائم ما انفطرت عليه نفسها .

وددت لو أقف حيال بقية الممثلين والممثلات ، ولـكني لأمر ما .. أتجاوز عن هذا الوقف لأتقدم بتهنئة صادقة للمخرج والممثلات والممثلين ، الذين تساندوا وتكاتفوا فبلغوا المـكانة التي دعاهم مؤلف الرواية إلى الاستواء عليها بجانب عرشه الفني .

حبيب الزحلاوي



الفضاء والعدم أيضاً :

لا يؤاخذنى الأستاذ نقولا الحداد بعدم اقتناعى بما جاء فى تعليقه الأول والثانى ، عن حتمية وجود الأثير فى الفضاء ، فإنه لا يخفى على حضرته أن علم الطبيعة لم تقم قوانينه أو نظرياته على الحتم بل هو كعلم الكيمياء وسائر الطبيعيات ابن التجارب ، فإذا أجريت تجربة فى ناحية من النواحى وثبتت لها نتيجة تتفق والواقع أقيم على أساسها القانون ومنه تستخرج النظريات والمادلات . والفرق بين القانون والفرض واضح ظاهر

فالقانون فى العلوم الطبيعية تقرير يجمع عــدداً عظيما من الحقائق ثبتت صحتها من التجارب ، إلا أن العقل البشرى لا يقنع بالحقائق بل يتساءل دائماً عن السبب ، ولذا توضع فروض لتفسير هذه الحقائق ، فإن أمكن استنباط كل الحقائق المعروفة من الفروض ، ارتقت إلى مرتبة النظرية العلمية .

فإذا كان كل من قرأت لهم من العلماء والطبيعيين أثناء دراستى لفن اللاسلكى يقولون إن هذا الأثير مجرد فرض علمى .

فهل يجوز بعد هذا أن يقول الأستاذ بحتمية وجوده ، وليس فى الإمكان قياسه ، أو الاستدلال عليه بأسباب علمية ملموسة ؟ ؟ فالدكتور البرت اينشتين ينكر نظرية الأثير التى يقدمها الكتاب كمحاولة ، لشرح عملية الإرســال فى اللاسلكى . واينشتين يستهزىء بالوسط الأثيرى المزعوم ويقول أنه كأقصوصة أو رواية أو حيلة مبتكرة لشرح شىء لم يصــل العلماء الطبيعيون إلى شرح صحيح له أو الكشف عنه . ثم هو يظن أنها ظاهرة كهرطيسية ، وشارل بروتوس ستينمتز يقول :

ليس هناك موجات أثيرية ؛ أما موجات اللاسلكى أو الضوء فهى من صفات قوة المجال الكهرطيسى الذى يمتد خلال الفضاء . ثم قال إن الطبعيين ليسوا فى حاجة إلى أية فكرة عن الأثير ، بل من الواجب عليهــم أن يفكروا جدياً فى تعريف للموجات الكهرطيسية .

وقال بمثـــل ذلك E. N. Sa C. andrade فى كتابه The Rechanism of Nature الذى ترجم أخيراً إلى اللغة العربية

وزاد على ذلك الأستاذ عاطف البرقوق فقال فى كتابه « الموج الساحر » من سلسلة إقرأ : لا يميل علماء الطبيعة إلى افتراض الفراغ التام من كل أثر أو وسط ؛ لذلك اخترعوا وسطاً لمثل هذه الموجات وسموه أثيراً . فليرجع الأستاذ نقولا إلى هذا وإلى غيره من المراجع التى سأورد أسماءها فيما بعد .

وأكبر الظن أنه ليس لدينا فى مصر معامل طبيعية للبحث أو علماء طبيعيون وقفوا أنفسهم على هذا اللون من البحوث العالية الغالية التكاليف — إذا استثنينا أستاذنا العالمى الدكتور مشرفه باشا .

وقبل أن أختم ردى هذا أقول إننا جميعاً نعلم كيف تتدرج النظريات العلمية وأخصها النظرية الذرية منذ أن قال بها الأغريق ودالتون . . حتى وقتنا هذا وما أدخل عليها من تعديلات طبقاً لنتائج التجارب والأبحاث ، وتقدم العلم .

فإذا ثبت لدينا اليوم أو غداً بالبرهان والدليل القاطع والتجارب العلمية الصحيحة — لا مجرد الفروض — ما يقول بوجود هذا الأثير فأظن أنه لن يجرؤ كائن على إنكاره ، أما البراهين الكلامية فلا يعترف بها علم الطبيعيات .

وإذا كان أستاذنا الفاضل نقولا الحداد قد وقف على تجارب أو أبحاث أو على ما ينشره العلماء الطبيعيون — لا الكلاميون — تثبت أو تقيس أو تبرهن بوجود هــذا الأثير فليدلنى عليها — مشكوراً — حتى ازداد بذلك علماً .

أحمد محمد حلمى

مؤلف تاريخ الأوزاعى :

نقل المرحوم الأمير شكيب أرسلان فى صفحتى ٦٢٤ ، ٢٥ من كتابه ترجمة السيد رشيد رضا عليه رحمة الله عن الأستاذ السيد محمد علال الفاسى أنه اطلع فى فهرس دار الكتب المصرية على نسبة كتاب « محاسن المساعى فى مناقب الإمام ابن عمرو الأوزاعى » وبأنه من تأليف الحافظ الكبير شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢

وقد شك الأستاذ علال فى هذه النسبة وقال للأمير شكيب ما نصه كما فى صحيفة ٦٢٥ من الكتاب « وقد تعجبت كثيراً من هذه النســبة لأن النكتات من الوجهة الحديثية ليس فى مقام الحافظ .

وراجعت بعض من ترجم لابن حجر فلم أر من نسب له كتاباً بهذا الاسم » إلى أن قال « فلم اطمئن إلى هذه النسبة من حيث كونها تدل على أن الكتاب فرغ منه قبل وفاته بسنتين وهو إذ ذاك قد بلغ غايته فى العلم والتحرير وأيا ما كان فيجب التثبت من هذه النسبة والتحفظ فيها » . ولقد كان الأستاذ علال على حق فى شكه فى نسبة الكتاب للحافظ أحمد ابن حجر .

والصواب أن مؤلف تاريخ الأوزاعى هو أحمد بن زيد . فقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ح ٢ ص ٧٢ فى ترجمة احمد ابن محمد الموصلى الدمشقى الحنبلى المعروف بابن زيد المولود سنة ٧٨٩ والمتوفى بدمشق سنة ٨٧٠ أن ابن زيد ألف كتاباً فى مناقب الأوزاعى ، وهذه عبارته [وافرد مناقب كل من تميم الدارى والأوزاعى فى جزء سمى الأول تحفة السارى إلى زيادة تميم الدارى ، والثانى محاسن المساعى فى مناقب أبى عمرو الأوزاعى » ويبقى هنا البحث فى سبب نسبة الكتاب لابن حجر ، ويظهر لى والله أعلم أن سبب حصول هذا الخطأ هو تحريف كلمة ابن زيد إلى ابن حجر بأيدى جهلة الناسخين ولا سيما أن ابن زيد اسمه أحمد ولقبه شهاب الدين ، وابن حجر كذلك فى الاسم واللقب على أن ابن زيد معاصر لابن حجر ، وسمع منه فى رحلته إلى دمشق :

قال السخاوى ح٢ص ٧٢ « وسمع على شيخنا ابن حجر [بدمشق »

محمد صبرى عابدين

معرض كتب سنة ١٩٤٧ :

قررت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف لمناسبة إقامة المهرجان الأدبى والفنى فى فبراير القادم ، تنظيم معرض للكتب الصادرة عام ١٩٤٧ وقد بدأت إدارة خدمة الشباب « ٧ شارع سليمان باشا » تتلقى المؤلفات الصادرة فى ذلك العام من المؤلفين ودور النشر .

تصحيح :

وقع فى مقالى الذى رددت به على الأستاذ أحمد محمد خلف فى الرسالة العدد ٧٥٣ صفحة ١٣٦١ بعض أغلاط مطبعية أخفت المعنى المقصود فأدله عليها كى يصححها إذ يقرأ المقال .

السطر ٨ من العمود الأول — الفرض والصواب الفرض .

ميكافن وردت مراراً بهجئة ميكاهن . ورد فى السطر الثالث من أسفل العمود :

لا تعجبوا من اتفاق — والصواب من إخفاق

السطر الأخير من المقال « الأراقية » . وصوابه إلا براقبة

نقولا الحداد



السائح والتمثـال

بقلم ألدو بالاتسزكي

للأستاذ محمد لطفي جمعة

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وعند ما تنبه من غشيته رأى نفسه يرفل في ثياب جديدة كثياب الكهنة وقد حلق شعره وقلمت أظافره وأحس أنه قد تبدل وقد نسي ماضيه وكأنه يعيش في الهيكل منذ ولدته أمه. وإذ كان يسير في أحد أبهاء الهيكل ساهياً عن ماضيه، لاهياً عن حاضره لمح تمثالا نصفياً من الحجر الأزرق .. يمثل سماوة امرأة، ويقوم على قاعدة صغيرة من المرمر الأبيض، فشعر بهبوط في قوته وأن شيئاً خفياً يجذبه نحو التمثال الأزرق ولم يخطر بباله أنه تمثال إينوبيا، تلك المرأة التي أحبته ونسيها، ولكنها فجاءة لاحت سماوتها أمام عينيه فشعر أولا بأنه نسيها نسياناً مطلقاً .. ثم بدأت عوالم الشعور والأحلام والأفكار المطمورة في أعماق روحه — كما لو كانت في قرارة بحر عميق، تهب وتنهض وتستيقظ وتبعث وتطفر وتقفز وتدور وتشتعل وتحيا من جديد؛ وفي تلك اللحظة نفسها مر به الكاهن الذي ناقشه عند وصوله لخياه، ووقف له كمن ينتظر أنه سوف يخاطبه أو يلقي عليه سؤالا

وفي الواقع لم يخيب السائح رجاء الكاهن وقال له وهو لا يملك أن يحول نظره عن التمثال وقد استولت عليه رعشة ورجفة مصاحبتين للبعث الذي شعر به في روحه!

— ٣ —

— أتسمح يا سيدي أن أسأل عن صاحبة هذا التمثال من تكون؟

— فقال الكاهن وهو يبدي عدم الاكتراث: إنه تحفة ثمينة وتكاد تكون مقدسة، لأنه من صنع مثال لامرأة كان يحبها منذ خمسمائة سنة ... فبهت السائح ثم استجمع قوته وقال

— وما كان اسمها ياسيدي؟ أقصد إلى الفنان والمرأة ..

فسأله الكاهن «وهل يكرثك الأمر إلى حد أنك تود أن تقف على إسم فنان مطمور، وتمثال صغير، مضى عليهما خمسة قرون؟ إن كان إسمهما يهمك فاعلم أن المرأة كانت تدعى إينوبيا، والمثال فيدور. فدارت الدنيا بالسائح، لأن فيدور كان إسمه هو، وأحس بأن الأرض تميد تحت قدميه، ولكنه تجلد واستنجد بكل ما كان له من قوة إرادة وعزم ليبقى قائماً على عوده. وفي لحظة شعر بأنه لن يقوى على الوقوف فتحامل على قدميه حتى دنا من التمثال وارتكن إليه «فيدور — إينوبيا» وقد رأى الكاهن كل ماجرى له، ولكنه لم يمد له يد المعونة ولم ينطق بكلمة وبقي كمن لا يريد أن يضن على صاحبه بجواب على سؤال، وان يتعدى هذه الحدود، فلما ظن السائح أنه قد استعاد شيئاً من قوة جسمه وروحه قال:

أيمكن يا سيدي أن يتكرر اسم شخصين بعينهما وجنسهما وهيأتهما وخلقهما في فترتين من الزمن أو فترات عدة؟

فقال الكاهن: لم أفهم سؤالك وإن كنت أوشك أن أستشف معنى بعض ما ترمي إليه. تقول إنك إذا كنت أنت فيدور وقد أحببت امرأة اسمها إينوبيا في حياتك هذه وعصرنا هذا فهل يمكن أن يكون قد عاش قبلكما في ماض قريب أو سحيق شخصان مثلكما مخلوقان على شاكلتكما؟ وهل هذان الشخصان هما نفسهما اللذان عاشا في الماضي والحاضر، أم أنهما خلقا على غرار السابقين لهما؟ إن لم يكن إدراكي قد اقترف جناية الخيانة العظمى فلا بد أن يكون هذا محور سؤالك أو نحوه.

فخارت قوى فيدور لحداثة عهده بقوة الروح التي توحي مثل هذا الكلام وذلك العلم الكشاف. وقال: نعم نعم هذا سؤالي بعينه. فابتسم الكاهن وقال: إن هذا الذي تخيلته من أبسط الأشياء. إنه الحقيقة بعينها، وإنها لاتدعو إلى الحيرة التي تبدو عليك .. ثم قال له: ادنُ من التمثال والمسه.

فقال السائح: لن أجسر على لمسه. إنه في نظري أقدس من أن يمس. فقال الكاهن: لم يدر بخلدي أن شاعراً متحرراً مثلك يعيش في هذا القرن العشرين تستهويه تحفة مصنوعة منذ خمسمائة عام. على أن الجمال ليس مطلقاً ولا تاماً ولا قريباً من

الكمال فإن الأذنين أدق من الآذان الأنثوية وفي الأنف شذوذ لا يجعل صاحبته ذات فتنة .

فقال السائح ساعني يا سيدي الكاهن إذا لم أوفق إلى رضائك بقبول نقدك فانك لا تعلم ما أعلم ولا تشعر بما أشعر .
فأدار الكاهن وجهه ليخفي ضحكة غامضة . واستمر فيدور في حديثه فقال : إنه ليس شبهاً ، ولكنه صورة طبق الأصل ، ولعله أكثر من هذا بعد الذي قلته لي فهو نوع من استعادة الحياة نفسها في هذا الحجر الأزرق وذاك المرمر المسنون . بالله عليك يا سيدي الكاهن خبرني كيف استطاع مثّال عاش في القرن الخامس عشر أن يتخيل ثم ينحت في الحجر الصلد الأزرق هاتين الأذنين الدقيقتين وأن يجعلهما جميلتين مرهفتين كما رأيتهما وشعرت بجمالهما ؟ فقال الكاهن : تقول إنه تخيل ثم نحت ؟ على رسلك ياسيدي ، إنه لم يتخيل ولكنه رأى وأحب وتعذب. فقال فيدور : رأى الأذنين الجميلتين المرهفتين كما رأيتهما وعرفتهما وشعرت بجمالهما ...

فقال الكاهن وهو يبتسم ابتسامة غامضة ماكرة : وهل تمكن ذلك المثال الحاذق أن يكسب العينين شيئاً من الشبه يقربهما إلى ذاكرتك كما صنع بالأذنين ؟

قال السائح : العينان تكادان تشمان بنورهما الإنساني وهذه الجبهة العالية المشرقة التي خلعت على صاحبتها جمالا ونبلا ، ثم هذا الأنف الشاذ الذي كانت إينوبيا تزعم أنها عثرت وهي طفلة تجري وتمرح فأصابها جرح جمل أنفها كما هو .

فقال الكاهن : عجباً عجباً ! أراك تذكر كل شيء عن تلك التي أحببتك وهجرتها ، بل فررت منها ، ومن العالم الذي يحتويها .

— ٤ —

فقال السائح : الآن لا أفر منها وقد جمعتني بها القادر .

الكاهن : ولو كانت صخرة صماء لا تنطق كهذه ؟

السائح : لا تنطق ؟ إن فمها بشفتيه الرقيقتين يكاد يناديني !! بربك قل لي بأية معجزة تخلق امرأتان بهذا الشبه المحير ، وتعيشان في زمانين مختلفين ، وهل تظن أن تلك المرأة التي نقل عنها ذلك المثال البائد ، كانت تشبه إينوبيا كل المشابهة .

فتجهم وجه الكاهن وقال : لا تقل المثال البائد ، فاننا في عالم لا تبيد فيه ذرة فكيف تبيد فيه الأرواح والإرادات ؟ وأظن أن المشابهة لم تكن مقصورة على الوجه بل كانت شاملة للخلق والروح . لا شك عندي في ذلك يا سيدي !

وعند ما سمع السائح هذه الكلمات أسف على ما كان منه نحو تلك التي أحبته وشعر أن إينوبيا كانت ملكا أرسل إليه لانقاذه في صورة خفية ، ونظر إلى الكاهن قائلا :

وهل استعادة الماضي مستحيلة ؟

ولماذا تريد أن تستعيد الماضي الذي خلصت منه ؟

— لقد كنت خادعاً ومخدوعاً ، فإنه لا يستطيع أحد أن يخلص من ماضيه ، ولا أن يعيش بدونه مهما كان محفوفا بمكاره الذكريات . إني أحاول جهدي أن أستجمع صورتها الكاملة فلا أقدر على ذلك .

فقال الكاهن : ليس هناك ماض ولا حاضر ولا مستقبل . الزمان واحد والمكان واحد . وليس الماضي آنية ثمينة تحطمت فتنحني ثم تركع لتجمع شذراتها المتناثرة لتعيد إليها الحياة بالرتق والترقيع كالثوب القديم . إن الحياة وحدة منسجمة لا تتجزأ أو لا تتمزق ولا تتغير ألوانها. وسار الكاهن في طريقه. فما كان أشد فرح السائح عندما ظفر بهذا الروح الجديد ينبعث إلى قلبه وعقله ! ورأى في أول الأمر أن يتشبث بالتمثال فاستمسك به حيناً ، ثم استغنى عنه لأنه وجد التطهير في قلبه ، وعلم أن تلك التي أهمل شأنها كانت هي التي أنقذته من الخبث والحقد والحسد ومحاولة التحديق في وجه خالقه ، وهي التي قادت قدميه في غفلة من إرادته ، ويقظة من روحه ، إلى هيكل نيبوس إله النور . إذا كانت إينوبيا وفيدور قد عاشا وتألما وتمتعا في حياة سابقة على الحاضر بخمسمائة عام خلت ، فهذا هو الخلود نفسه ، وهذا هو الدوام الذي لا فناء بعده . لقد قصد إلى الهيكل هارباً من الدنيا لما راعه ما بها من فساد وهاله ما فيها من تهتك ، وأدهشه ما رضيه أكثر أهلها من إباحة ، فاذا يصنع وهو لا يملك أن يطهر الدنيا ولا سيما مدينته مما عراها ، ولا يقدر على أن ينفي أهل الخلاعة والخيانة والغدر من أوطانهم ؟ وعند ما بلغ تلك النقطة من التفكير سمع صوتاً من نفسه يناديه :

فيدور ! أيها الهارب ! طهّر نفسك أولا ، فاذا بلغت هذه الغاية فقد صرت قادراً على تطهير الآخرين ...

محمد لطفي جمعه المحامي